

DEVELOPMENT OF THAFSEER LITERATURE (ARA3E04)



STUDY MATERIAL

III SEMESTER

**M.A. ARABIC
(2019 Admission)**

**UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION
CALICUT UNIVERSITY P.O.
MALAPPURAM - 673 635, KERALA**

190112

School of Distance Education University of Calicut

**Study Material
Third Semester**

**M.A. ARABIC
(2019 Admission onwards)**

**ARA3E04 :
DEVELOPMENT OF THAFSEER LITERTURE**

Prepared by:

**Dr. MOHAMMED FYSEL M.P.
Assistant Professor of Arabic
School of Distance Education
University of Calicut.**

Scrutinized by:

**Dr. ABDUL LATHIEF P.P.
Assistant Professor (Rtd.)
Department of Arabic
TMG College, Tirur.**

DISCLAIMER

"The author(s) shall be solely responsible
for the content and views
expressed in this book".

Printed @ Calicut University Press

المحتويات

A الدراسة العامة

الباب الأول : مبادئ تفسير القرآن الكريم ونشأته وتطوره

الباب الثاني : تطور أدب التفسير ومدارسه

الباب الثالث : التفسير في العصر الحديث: اتجاهاته ومناهجه

B الدراسة التفصيلية

سورة يس

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن هدى للناس وتبينانا لكل شيء، والصلاة والسلام على من بين ما نزل عليه أحسن تفصيل، وعلى آله وصحبه الذين تخلقوا به ودافعوا عنه أحسن دفاع، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ، فقد من الله علي لجمع وترتيب "تطور أدب التفسير" المادة للدراسة الذاتية المقررة للفصل الدراسي الثالث لطلبة الماجستير العربية في مدرسة التعليم عن بعد، تحت جامعة كاليفورنيا. ومن أهم المراجع لهذه المادة "التفسير والمفسرون: أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث"، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس "والتفسير والمفسرون" للدكتور محمد حسين الذهبي حيث تم اقتباس أكثر هذه المادة من هذين الكتابين ببعض التصرفات، طبعا، استفدنا أيضا من سائر المراجع المذكورة في المنهج الدراسي ومن كتب التفاسير المتوارثة والمعاصرة وعلوم القرآن والشبكات العنكبوتية التي تم الإشارة إليها في آخر هذه المادة تحت عنوان "المصادر والمراجع".

ولله الشكر على توفيقه لإتمام هذا العمل الجليل، والرجاء من المطالعين الدعاء للفقيه والتنبه على الأخطاء إذا وجدت، ولا ننسى د. عبد اللطيف الفيضي الذي قام بتحرير هذه المادة وجزاه الله خير الجزاء، وتقبل الله منا ومنه ومن العاملين عليها والمنتفعين

بها ومن الذين انتفعنا بعلومهم في إعداد هذه المادة، والله الموفق وعليه التكلان.

الباب الأول

مبادئ التفسير ونشأته وتطوره

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء، والصلاة والسلام على من أشرف خلقه الذي بلغ ما أنزل عليه وتحدى به مصارع الخطباء، وأكابر الأدباء، وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه ودافعوا عنه أحسن دفاع، والذين سلكوا مسلكهم إلى يوم الدين.

المبادئ العشرة لعلم التفسير

أولاً وقبل الجميع نعرف المبادئ العشر لعلم التفسير

- 1- حدّ علم التفسير هو علم بأصول يعرف بها معاني كلام الله تعالى بحسب الطاقة البشرية.
- 2- وموضوعه آيات القرآن من حيث فهم معانيها والوقوف على ما تشير إليه.
- 3- وثمرته معرفة ما في كتاب الله على الوجه الأكمل.
- 4- وغايته الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى سعادة الدارين.

5- ونسبته لبقية العلوم يكون هو أفضلها لأن شرف العلم يشرف موضوعه وناهيك بعلم موضوعه كلام الله إذ هو أصل العلوم ومعدنها.

6- وواضعه الراسخون في العلم من عهد المنزل عليه إلى يومنا هذا فما بعد.

7- واسمه علم التفسير أي الكشف عن غطاء معانيه والوقوف على ما ترمي إليه مبانيه.

8- واستمداده من آي الكتاب الجليل، لأنه يفسر بعضه بعضا ومن السنة السنية لأنها شرح له ومن كلام الفصحاء ما يكون بيانا له.

9- وحكمه الوجوب الكفائي على كل أهل بلدة.

10- ومسائله قضاياها من حيث الأمر والنهي والمواعظ والأخبار، وجاء في بعض النسخ بدل وغايته وفضله، وعلى ذلك فإن علم التفسير أفضل العلوم على الإطلاق لكونه متعلقا بكلام الله الذي لا أفضل منه البتة كيف لا وهورب العالمين أجمعين.

نشأة علم التفسير

كتاب الله هو دستور التشريع، ومنبع الأحكام التي خوطب بها كافة الناس والجن أن يعملوا بها، ففيه بيان الحلال والحرام والأمر والنهي، هو معدن الآداب والأخلاق التي أمروا أن يستمسكوا بها، لتكون مصدر سعادتهم، ومنبع هدايتهم، ونيلهم الرّلى عند ربهم في

جنات النعيم فهى الوسيلة لإصلاح حال المجتمع الإسلامى إذا أخذوا بها ولم يحيدوا عن طريقها، وينحرفوا عن سننها.

ومما ساعد على العمل بها أنه نزل منجّما بحسب الحوادث والوقائع في نيف وعشرين سنة، وقد كانت تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم الآية أو الآيات في واقعة بعينها فيتدارسها مع صحبه، ويفصل لهم مجملها، ويوضح لهم مهمها، ويفسر لهم مشكلها، حتى لا تبقى فى النفس بقية من لبس، وكان عليه الصلاة السلام الهادي لهم إلى سواء السبيل، والفتاح لهم ما استغلق من أمر دينهم، والمفسر لكتاب الله بسنته القولية وسنته الفعلية كما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وظلّ دائبا هكذا حتى لحق بالرفيق الأعلى.

فلا غرو أن كان تفسيره وإيضاح ما أشكل عليهم فهمه منه- عادتهم من بدء التنزيل في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته، وما زال الأمر كذلك في كل العصور حتى عصرنا، وما طفقت التفاسير تترى وهى مختلفة المناجى والمناهج، فما من عصر إلا جدّت فيه تفاسير تشاكل حاجة ذلك العصر ما بين مطوّل ومختصر كما نشاهد ذلك رأى العين، وإن كتاب الله لفيه من الأسرار ما لم يقف على كنهه جهابذة المفسرين وسيفسره الزمن وتقدم العلوم والفنون، ورقالفكر الإنسانى كما قال سبحانه وتعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) .

معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما

التفسير في اللغة:التفسير هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان آية [33]: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} .. أى بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف، قال في القاموس: "الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير، والفعل: كضرب ونصر".

وقال في لسان العرب: "الفسر: البيان فسّر الشيء يُفسّره - بالكسر ويفسّره - بالضم فسراً. وفسّره أبانه. والتفسير مثله... ثم قال: الفسر كشف المغطى، والتفسير المراد عن اللفظ المشكل..."

وقال أبو حيان في البحر المحيط: "... ويُطلق التفسير أيضاً على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرتُ الفرس: عرّيته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذى يريده منه من الجرى".

ومن هذا يتبين لنا أن التفسير يُستعمل لغة في الكشف الحبيبي، وفي الكشف عن المعانى المعقولة، واستعماله في الثانى أكثر من استعماله في الأول.

التفسير في الإصطلاح: يرى بعض العلماء: أن التفسير ليس من العلوم التى يتكلف لها حد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التى أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفى في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفوماتها.

ويرى بعض آخر منهم: أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية، أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد، فيتكأف له التعريف، فيذكر في ذلك علوماً أخرى يُحتاج إليها في فهم القرآن، كاللغة، والصرف، والنحو، والقراءات... وغير ذلك.

وإذا نحن تتبعنا أقوال العلماء الذين تكأفوا الحد للتفسير، وجدناهم قد عرّفوه بتعاريف كثيرة، يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها، فهي وإن كان مختلفة من جهة اللفظ، إلا أنها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه.

فقد عرّفه أبو حيان في البحر المحيط بأنه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك".

ثم خرّج التعريف فقال: "فقولنا: "علم"، هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: "يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن"، هذا هو علم القراءات، وقولنا: "ومدلولاتها" أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية"، هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: "ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب"، يشمل ما دللته عليه بالحقيقة، وما دللته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على الظاهر

وهو المجاز، وقولنا: "وتتمت لذلك"، هو معرفة النَّسخ وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انهم في القرآن، ونحو ذلك".

وعرّفه الزركشى بأنه: "علم يُفهم به كتاب الله المُتَّزَّل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه".

وعرّفه بعضهم بأنه: "علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية".

والناظر لأول وهلة في هذين التعريفين الأخيرين، يظن أن علم القراءات وعلم الرسم لا يدخلان في علم التفسير، والحق أنهما داخلان فيه، وذلك لأن المعنى يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات، كقراءة: {وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} - بضم الميم وإسكان اللام.. وكقراءة {حَتَّى يَطْهَرْنَ} - بالتسكين، فإن معناها مغيرة لقراءة مَنْ قرأ: "يطهَّرن" - بالتشديد، كما أن المعنى يختلف أيضاً باختلاف الرسم القرآني في المصحف، فمثلاً قوله تعالى: {أَمَّنْ يَمُنِّي سَوِيًّا} بوصل "أمن"، يغير في المعنى: {أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً} - بفصلها، فإن المفصلة تفيد معنى "بل" دون الموصولة.

وعرّفه بعضهم بأنه: "علم نزول الآيات، وشئونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكها ومدنيها، ومُحكّمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومُطلقها ومُقيدها، ومُجملها ومُفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعدا ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها".

وهذه التعاريف الأربعة تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد.

التأويل في اللغة:

التأويل: مأخوذ من الأول وهو الرجوع، قال في القاموس: "آل إليه أولاً ومآلاً: رجع، وعنه: ارتد... ثم قال: وأوّل الكلام تأويلاً وتأوّل: دبّره وقدّره وفسّره. وقيل: التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، فكأن المؤوّل يسوس الكلام ويضمه في موضعه - قال الزمخشري في أساس البلاغة: "آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وائتالها، وهو مؤتال لقومه مقتال عليهم، أى سائس محتكم".

والناظر في القرآن الكريم يجد أن لفظ التأويل قد ورد في كثير من آياته على معان مختلفة، فمن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران آية [7]: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}.. فهو في هذه الآية بمعنى التفسير والتعيين. وقوله في سورة النساء آية [59]: {فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}.. فهو في هذه الآية بمعنى العاقبة والمصير. وقوله في سورة الأعراف آية [53]: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ}.. وقوله في سورة يونس آية [39]: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}.. فهو في الآيتين بمعنى وقوع

المخبر به. وقوله في سورة يوسف آية [6]: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ
وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}.. وقوله فيها أيضاً آية [37]: {قَالَ لَا
يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْرَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ}.. وقوله في آية [44] منها:
{وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ}.. وقوله في آية [45] منها: {أَنَا أَنْبِئُكُمْ
بِتَأْوِيلِهِ}.. وقوله في آية [100] منها: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ}..
فالمراد به في كل هذه الآيات نفس مدلول الرؤيا. وقوله في سورة
الكهف آية: [78]: {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}.. وقوله
أيضاً في آية [82]: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}.. فمراده
بالتأويل هنا تأويل الأعمال التي أتى بها الخضر من خرق السفينة،
وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وبيان السبب الحامل عليهما، وليس
المراد منه تأويل الأقوال.

التأويل في الاصطلاح:

1- التأويل عند السلف: التأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه،
فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا هو ما عناه مجاهد
من قوله: "إن العلماء يعلمون تأويله" يعنى القرآن، وما يعنيه ابن
جرير الطبرى بقوله في تفسيره: "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا"
وبقوله: "اختلف أهل التأويل في هذه الآية"... ونحو ذلك، فإن مراده
التفسير.

ثانیهما: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً، كان تأويله نفس الشئ المخبر به، وبين هذا المعنى والذى قبله فرق ظاهر، فالذى قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام، كالتفسير، والشرح، والإيضاح، ويكون وجود التأويل فى القلب، واللسان، وله الوجود الذهنى واللفظى والرسى، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة فى الخارج، سواء أكانت ماضية أم مستقبلية، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها، وهذا فى نظر ابن تيمية هو لغة القرآن التى نزل بها، وعلى هذا فىمكن إرجاع كل ما جاء فى القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثانى.

2 - التأويل عند المتأخرين من المتفقهة، والمتكلمة، والمحدثثة والمتصوِّفة:

التأويل عند هؤلاء جميعاً: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجع إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذى يتكلمون عليه فى أصول الفقه ومسائل الخلاف. فإذا قال أحد منهم: هذا الحديث - أو هذا النص - مؤوّل أو محمول على كذا. قال الآخر: هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى دليل. وعلى هذا فالتأويل مطالب بأمرين:

الأمر الأول: أن يبيّن احتمال اللفظ للمعنى الذى حمّله عليه وأدعى أنه المراد.

الأمر الثاني: أن يبيّن الدليل الذى أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجح، وإلا كان تأويلاً فاسداً، أو تلاعباً بالنصوص.

قال فى جمع الجوامع وشرحه: "التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حُمِلَ عليه لدليل فصحيح، أو لما يُظَنّ دليلاً فى الواقع ففاسد، أو لا شيء فلعب لا تأويل". وهذا أيضاً هو التأويل الذى يتنازعون فيه فى مسائل الصفات، فمنهم مَنْ ذم التأويل ومنعه، ومنهم مَنْ مدحه وأوجبه.

وستطلع عند الكلام على الفرق بين التفسير والتأويل على معان أخرى اشتهرت على ألسنة المتأخرين.

الفرق بين التفسير والتأويل والنسبة بينهما:

اختلف العلماء فى بيان الفرق بين التفسير والتأويل، وفى تحديد النسبة بينهما اختلافاً نتجت عنه أقوال كثيرة، وكأن التفرقة بين التفسير والتأويل أمر معضل استعصى حله على كثير من الناس إلا مَنْ سعى بين يديه شعاع من نور الهداية والتوفيق، ولهذا بالغ ابن حبيب النيسابورى فقال: "نبغ فى زماننا مفسّرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهدوا إليه". وليس بعيداً أن يكون منشأ هذا الخلاف، هو ما ذهب إليه الأستاذ أمين الخولى حيث يقول: "وأحسب أن منشأ هذا كله، هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب".

وهذه هي أقوال العلماء أبسطها بين يدي القارئ ليقف على مبلغ هذا الاختلاف، وليخلص هو برأى في المسألة يوافق ذوقه العلمى ويرضيه.

1 - قال أبو عبيدة وطائفة معه: "التفسير والتأويل بمعنى واحد" فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

2 - قال الراغب الأصفهاني: "التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يُستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعانآ، كتأويل الرؤيا. والتأويل يُستعمل أكثره في الكتب الإلهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ. والتأويل أكثره يستعمل في الجمل، فالتفسير إما أن يُستعمل في غريب الألفاظ كـ "البحيرة والسائبة والوصيلة" أو في تبين المراد وشرحه كقوله تعالى في الآية [43] من سورة البقرة: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}.. وإما في كلام مضمن بقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها نحو قوله تعالى في الآية [37] من سورة التوبة: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ}.. وقوله تعالى في الآية [189] من سورة البقرة: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}.

وأما التأويل: فإنه يُستعمل مرة عاماً، ومرة خاصاً، نحو "الكفر" المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود البارى خاصة. و"الإيمان" المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق دين الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ "وجد" المستعمل في الجد والوجد والوجود".

3 - قال الماتوردى: "التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأى، وهو المنهى عنه، والتأويل ترجيح أحد المتحملات بدون القطع والشهادة على الله"، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

4 - قال أبو طالب الثعلبي: "التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير "الصراط" بالطريق، و "الصيّب" بالمطر. والتأويل تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى فى الآية [14] من سورة الفجر: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ}.. تفسيره أنه من الرصد، يقال: رصدته: رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه. وقواطع الأدلة تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللغة" وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

5 - قال البغوى ووافقه الكواشى: "التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يواف ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. والتفسير هو الكلام فى أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها". بتصرف. وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

6 - قال بعضهم: "التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية"، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

7 - التفسير هو بيان المعانى التى تُستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعانى التى تُستفاد بطريق الإشارة. فالنسبة بينهما التباين، وهذا هو المشهور عند المتأخرين، وقد نبّه إلى هذا الرأى الأخير العلامة الألوسى فى مقدمة تفسيره حيث قال بعد أن استعرض بعض أقوال العلماء فى هذا الموضوع: "وعندى أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العُرف فكل الأقوال فيه - ما سمعتها وما لم تسمعها - مخالف للعُرف اليوم إذ قد تعورف من غير نكير: أن التأويل إشارة قدسية، ومعارف سبحانية، تنكشف من سجع العبارات للسالكين، وتنهل من سُحُب الغيب على قلوب العارفين. والتفسير غير ذلك.¹

شروط المفسر وأدابه

أولاً: سلامة العقيدة:

فإن من انحرفت عقيدته يعتقد رأياً ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين، فإذا فسر القرآن أوّل الآيات التى تخالف مذهبه الباطل، وحرفها حتى توافق مذهبه، ومثل

¹ التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) مكتبة

وهبة، القاهرة

هذا لا يطلب الحق فكيف يُطلب منه! ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والمعتزلة وغلاة الصوفية وغيرهم.

ثانيًا: التجرد عن الهوى:

فإن الهوى يحمل صاحبه على نصره مذهبه ولو كان باطلا، ويصرفه عن غيره ولو كان حقا.

ثالثًا: أن يكون المفسر عالما بأصول التفسير:

وذلك أن أصول التفسير بمثابة المفتاح لعلم التفسير، فلا بد للمفسر أن يكون عالما بالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوها.

رابعًا: أن يكون عالما بالحديث رواية ودراية:

إذ إن أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- هي المبينة للقرآن، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "كل ما حكم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو مما فهمه من القرآن". وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "السنة تفسر القرآن وتبينه"

خامسًا: أن يكون عالماً بأصول الدين:

سادسًا: أن يكون عالماً بأصول الفقه:

إذ به يعرف كيف تستنبط الأحكام من الآيات، ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق المقيد، ودلالة النص وإشارته ودلالة الأمر والنهي.. وغير ذلك.

سابعًا: أن يكون عالمًا باللغة وعلومها:

كالنحو والصرف والاشتقاق، والبلاغة بأقسامها الثلاثة "المعاني والبيان والبديع".

الأدوات الضرورية واللازمة لكل مفسر

وهي تحصيل العلوم المعينة على التفسير والبيان وأهمها:

- 1 - العلم باللغة العربية
 - 2 - العلم بالنحو
 - 3 - العلم بالاشتقاق
 - 4 - علم الأبنية.
 - 5 - علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع
 - 6 - علم القراءات.
 - 7 - علم الكلام.
 - 8 - علم أصول الفقه.
 - 9 - علم أصول الدين
 - 10 - علم السيرة والقصص.
 - 11 - علم الناسخ والمنسوخ.
 - 12 - علم الحديث.
 - 13 - علم الموهبة.
- آداب المفسر:

- 1 - حسن النية، وسلامة القصد لله تعالى.

- 2 - حسن الخلق
- 3 - الورع والتقوى.
- 4 - تحرى الصدق والضبط فى النقل
- 5 - عزة النفس.
- 6 - التواضع ولىن الجانب.
- 7 - الجهر بالحق.
- 8 - التروى والأناة فى سر التفسير.
- 9 - حسن الإعداد وطريقة الأداء.
- 10 - تقديم من هو فى العلم أولى منه.

أنواع التفسير

التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور هو التفسير المنقول عن الرسول صلّى الله عليه وسلم، أو الصحابة، أو التابعين، فهو يشمل تفسير هذه الأجيال الثلاثة من حملة العلم ونقلته.

فهو إذا جزء من علم رواية الحديث سواء كان مرفوعا إلى النبى صلّى الله عليه وسلم، أو موقوفا على الصحابى، أو مقطوعا على التابعى. ويشترط فيه ما يشترط فى علم الحديث من ضوابط النقل وصحته.

وأهم المدونات التفسيرية التي سجلت لنا المرويات التفسيرية عن الأجيال الثلاثة المباركة هي:

- 1 - جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري.
- 2 - معالم التنزيل لأبي محمد بن الحسين البغوي.
- 3 - بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي.
- 4 - تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء الحافظ ابن كثير.
- 5 - الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي.

وهناك مدونات أخرى غير هذه أيضا، كما أن منها ما جمع التفسير بالمأثور وحده فنقل التفسير بالرواية والأسانيد على ترتيب المصحف دون أن يدخل فيه شيئا من الاجتهاد أو اللغة، أو النحو أو الأحكام كتفسير السيوطي، ومنها ما كان جامعا للمأثور والاجتهاد المحمود معا كتفسير الطبري، ومنها ما حذف أسانيد الرواية،

التفسير بالرأى

التفسير بالرأى هو أحد قسمي التفسير الرئيسين وهما التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى، ويقال له أيضا بالاجتهاد.

والتفسير بالرأى نوعان:

الأول: التفسير بالرأى الجائز. الثانى: التفسير بالرأى الممنوع (المذموم).

وقد ظهر التفسير بالرأي في أول الخلافة العباسية مع بداية ظهور العصر العباسي الأول عند ما كثرت الفرق والمذاهب، وبرزت على الساحة الحركات الفكرية والعقلية كالمعتزلة وغيرهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التفسير الاجتهادي ليس معناه طرح التفسير بالمأثور المنقول عن سلف الأمة، ولكن معناه الاجتهاد في تفسير ما لم يثبت فيه منقول صحيح، ولا أثر مروى. وأيا ما كان فإن العلماء اختلفوا في جواز التفسير الاجتهادي. فذهب قوم إلى منعه تماما، وقالوا لا يجوز لأحد بعد الأجيال الثلاثة الأولى أن يفسر القرآن مهما بلغت مرتبته من العلم، وأقاموا على ذلك أدلة كثيرة.

وذهب آخرون إلى نقيض ما ذهب إليه الأولون فأجازوا لمن كان ذا علم وبصر، وتكاملت فيه أدوات علمية معينة أن يجتهد في التفسير.

التفسير الفقهي

1- في المذهب الحنفي: «أحكام القرآن» للجصاص.

2- في المذهب الشافعي:

أ- كتاب: «أحكام القرآن للإمام الشافعي».

ب- كتاب: «أحكام القرآن: للكيا الهراسي. ألفه أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي

3 في المذهب المالكي:

أ- كتاب أحكام القرآن لابن العربي.

ب- كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

4. في المذهب الحنبلي

أ- زاد المسير لابن الجوزي

صنف هذا التفسير معتمدا على قواعد المنهج الأثرى النظرى في التفسير

وقد صنف التفاسير من خارج إطار أهل السنة أيضا. ومنها التفاسير الشيعية والإباضية مثل كتاب: العرفان في فقه القرآن: لمقداد السيورى من الإمامية الاثنا عشرية.

وفي فقه الزيدية: الثمرات اليانعة، والأحكام الواضحة القاطعة: ليوسف الثالثى الزيدى».

وفي مذهب الإباضية«الدراية وكنز العناية ومنتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسمائة آية» في تفسير آيات الأحكام على مذهب الإباضية.

التفسير الإشاري

هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا. وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور فمنهم من أجازه ومنهم من منعه وإليك شيئا من أقوال العلماء لتعرف وجه الحق في ذلك:

قال الزركشي في البرهان كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} إن المراد النفس يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه.

قال الإمام النسفي في عقائده "النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل البطل إلحاد" اه قال التفتازاني في شرحه "سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم وقصدتهم بذلك نفي الشريعة بالكلية " قال "وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان."

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدتهم نفي الشريعة.

ونقل الإمام السيوطي في الإتقان عن ابن عطاء الله في لطائف المنن ما نصه اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغربية ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لوقالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم يقولون ذلك بل يقررون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما ألهمهم اهـ.

أهم كتب التفسير الإشاري

تفسير الجيلاني للشيخ الإمام محيي الدين عبد القادر الجيلاني
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين
النيسابوري

تفسير لطائف الاشارات للإمام بي القاسم القشيري
تفسير القرآن العظيم للإمام سهل التستري
تفسير روح البيان للإمام سماعيل الحقي البروسوي
تفسير القرآن الكريم للإمام محيي الدين بن عربي.
تفاسير أهل الكلام

كل إنسان تغلب عليه نزعته في كتابته وتلوح عقيدته من خلال تأليفه وتحديثه كما قلنا وذلك هو الشأن في علماء الكلام حين تصدوا لتفسير كتاب الله فالسني لاحت على تفسيره أنوار أهل السنة والمعتزلي فاحت من جوانب بيانه روائح الاعتزال والشيوعي هبت من نواحي تأويله ريح التشيع وهكذا.

بيد أن الفرق بينهم كبير في التعصب أو القصد وفي الإيجاز أو البسط. كان الزمخشري في اعتزاله مقتصدا مستخفيا و كان القاضي عبد الجبار متعصبا مستعلنا وكان المولى عبد اللطيف متشيعا مسرفا.

ومن أهل السنة من استبسل في الدفاع عن عقيدتهم في تفسيره وعلى رأس هؤلاء الإمام فخر الدين الرازي الذي شنها حربا شعواء في كل مناسبة على أهل الزيغ والانحراف في العقيدة وقد سلك في تفسيره مفاتيح الغيب المشهور بتفسير الفخر مسلك الحكماء الإلهيين فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية ولكن مع تهذيبها بما يوافق أصول أهل السنة وكذلك تعرض لشبههم بالنقض والتفنيد في كثير من المواضع.

الأسئلة

ما هي المبادئ العشرة لعلم التفسير؟

أكتب فقرة موجزة عن الفرق بين التأويل والتفسير؟

ما هي آداب المفسر؟

ما هي شروط المفسر؟

ما هي العلوم التي يجب أن يتمهرفمها المفسر؟

اكتب مقالة عن التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

الباب الثاني:

تطوّر أدب التفسير ومدارسه

تفسير القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

نزل القرآن الكريم على نبي أمي، وقوم أميين، ليس لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم، وكان كلامهم مشتملاً على الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية. والإيجاز والإطناب. وجريا على سُنَّة الله تعالى في إرسال الرسل، نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم في كلامه: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} .. [إبراهيم: 4] فألفاظ القرآن عربية، إلا ألفاظاً قليلة، اختلفت فيها أنظار العلماء، فمن قائل: إنها عرّيت وأخذت من لغات أخرى، ولكن العرب هضمتها وأجرت عليها قوانينها فصارت عربية بالاستعمال. ومن قائل: إنها عربية بحتة، غاية الأمر أنها مما تواردت عليه اللغات، وعلى كلا القولين فهذه الألفاظ لا تُخرج القرآن عن كونه عربياً.

استعمل القرآن في أسلوبه الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والأطناب، وعلى نمط العرب في كلامهم. غير أن القرآن يعلو على غيره من الكلام العربي، بمعانيه الرائعة التي افتنَّ بها في غير مذاهيمهم، ونزع منها إلى غير فنونهم، تحقيقاً لإعجازه، ولكونه من لدن حكيم عليم.

فهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة للقرآن:

وكان طبيعياً أن يفهم النبي صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلاً، إذ تكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة: 17-19] ، كما كان طبيعياً أن يفهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في جملته، أى بالنسبة لظاهره وأحكامه، أما فهمه تفصيلاً، ومعرفة دقائق باطنه، بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، بل لا بد لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يشكل عليهم فهمه، وذلك لأن القرآن فيه المجمل، والمشكل، والمتشابه، وغير ذلك مما لا بد في معرفته من أمور أخرى يُرجع إليها.

ولو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معانى القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعانى التى وُضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفى معناه على بعض الصحابة، ولا ضيّر في هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها.

ومما يشهد لهذا الذى ذهبنا إليه، ما أخرجه أبو عبيدة فى الفضائل عن أنس: "أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: {وَفَاكِهَةٌ وَأَبٌ} .. [عبس: 31] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟. ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر". وما روى من أن عمر كان على المنبر فقرأ: {أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} .. [النحل: 47] ثم سأل عن معنى التخوف، فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص، ثم أنشده:

تَخَوُّفَ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا ... كَمَا تَخَوُّفَ عُوْدِ النَّبْعَةِ السَّفِينِ

وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: "كنت لا أدرى ما {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ} حتى أتانى أعرابيان يتخاصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، والآخر يقول: أنا ابتدأتها".

فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى "الأب" ومعنى "التخوف" ويسأل عنهما غيره، وابن عباس - وهو ترجمان القرآن - لا يظهر له معنى "فاطر" إلا بعد سماعها من غيره، فكيف شأن غيرهما من الصحابة؟ لا شك أن كثيراً منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالى للآية، فيكفهم - مثلاً - أن يعلموا من قوله تعالى: {وَفَاكِهَةٌ وَأَبٌ} أنه تعداد للنعم التى أنعم الله بها عليهم، ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معنى الآية تفصيلاً ما دام المراد واضحاً جلياً.

مصادر التفسير في هذا العصر

كان الصحابة في هذا العصر يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على القرآن الكريم والنبى صلى الله عليه وسلم والاجتهاد وقوة الاستنباط وأهل الكتاب

القرآن الكريم:

الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص. وما أُوجِزَ في مكان قد يُبَسَطَ في مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبَيَّنَ في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى.

ولهذا كان لا بد لمن يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وبما جاء مُبَيَّنّاً على فهم ما جاء مُجْمَلّاً، وليحمل المُطَلَّق على المُقَيَّد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسّر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدري بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره.

وعلى هذا، فمن تفسير القرآن بالقرآن: أن يُشرح ما جاء موجزاً في القرآن بما جاء في موضع آخر مُسهباً، وذلك كقصة آدم وإبليس، جاءت مختصرة في بعض المواضع، وجاءت مُسهباً مطوّلة في موضع آخر، وكقصة موسى وفرعون، جاءت مُوجزة في بعض المواضع، وجاءت مُسهباً مُفصّلة في موضع آخر.

ومن تفسير القرآن بالقرآن: أن يُحمل المجمل على المبيّن ليُفسّر به، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن، فمن ذلك تفسير قوله تعالى في سورة غافر الآية [28]: {وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِيبْكُمْ بَعْضَ الَّذِي يَعِدْكُمْ} بأنه العذاب الأدنى المُعجّل في الدنيا، لقوله تعالى في آخر هذه السورة آية [77]: {فَإِذَا نُزِيتِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيْتِكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ} .. ومنه تفسير قوله تعالى في سورة النساء آية [27]: {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً} بأهل الكتاب لقوله تعالى في السورة نفسها آية [44]: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَزُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} .. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة آية [37]: {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَسَرَّهَا الْآيَةُ [23] من سورة الأعراف: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .. ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام آية [103]: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} فسَرَّهَا آية: {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} الآية [23] من سورة القيامة. ومنه قوله تعالى في سورة المائدة آية [1]: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ} .. فسَرَّهَا آية {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميتهة} الآية [3] من السورة نفسها.

ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل المطلق على المقيّد، والعام على الخاص، فمن الأول: ما نقله الغزالي عن أكثر الشافعية من حمل المطلق على المقيّد في صورة اختلاف الحكمين عند اتحاد السبب، ومثّل له بأية الوضوء والتيمم، فإن الأيدي مقيّدة في الوضوء بالغاية في قوله تعالى في سورة المائدة آية [6]: {فاغسلوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المرافق} .. ومطلقة في التيمم في قوله تعالى في الآية نفسها: {فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه} .. فقيدت في التيمم بالمرافق أيضاً، ومن أمثله أيضاً عند بعض العلماء: آية الظّهارة مع آية القتل، ففي كفارة الظّهارة يقول الله تعالى في سورة المجادلة آية [3]: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} .. وفي كفارة القتل، يقول في سورة النساء آية [92]: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} .. فيحمل المطلق في الآية الأولى على المقيّد في الآية الثانية، بمجرد ورود اللفظ المقيد من غير حاجة إلى جامع عند هذا البعض من العلماء.

ومن الثاني: نفى الخلّة والشفاعة على جهة العموم في قوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَّا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} .. وقد استثنى الله المتقين من نفى الخلّة في قوله: {الأخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا المتقين} .. واستثنى ما أذن فيه من الشفاعة بقوله: {وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَأَتَّعِيَنَّ شَفَاعَتَهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} .. ومثل قوله تعالى: {مَن يَعْمَلْ سِوَاءَ إِجْرَبِهِ} .. فإن ما فيها

من عموم خَصُصٍ بمثل قوله: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ} ..

ومن تفسير القرآن بالقرآن: الجمع بين ما يُتوهم أنه مختلف، كخلق
آدم من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها، ومن حمأ
مسنون، ومن صلصال، فإن هذا ذكر للأطوار التي مرَّ بها آدم من
مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

ومن تفسير القرآن بالقرآن: حمل بعض القراءات على غيرها، فبعض
القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ وتتفق في المعنى، فقراءة ابن
مسعود رضى الله عنه: "أويكون لك بيت من ذهب" تفسِّر لفظ
الزخرف في القراءة المشهورة: {أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ} .. وبعض
القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ والمعنى، وإحدى القراءتين تُعَيِّن
المراد من القراءة الأخرى، فمثلاً قوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} .. وفسَّرتها
القراءة الأخرى: "فامضوا إلى ذكر الله"، لأنَّ السعى عبارة عن المشى
السريع، وهو وإن كان ظاهر اللفظ إلا أن المراد منه مجرد الذهاب.

وبعض القراءات تختلف بالزيادة والنقصان، وتكون الزيادة في إحدى
القراءتين مفسِّرة للمجمل في القراءة التي لا زيادة فيها، فمن ذلك:
القراءة المنسوبة لابن عباس: "ليس عليكم جُنَاحٌ أَنْ تبتغوا فضلاً من
ربكم في مواسم الحج" .. فسَّرت القراءة الأخرى التي لا زيادة فيها،
وأزالت الشك من قلوب بعض الناس الذين كانوا يتحرَّجون من

الصفق فى أسواق الحج.. والقراءة المنسوبة لسعد بن أبى وقاص: "وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السُدس".. فسرت القراءة الأخرى التى لا تعرض فيها لنوع الأخوة.

وهنا تختلف أنظار العلماء فى مثل هذه القراءات فقال بعض المتأخرين: إنها من أوجه القرآن، وقال غيرهم: إنها ليست قرآناً، بل هى من قبيل التفسير، وهذا هو الصواب: لأن الصحابة كانوا يفسرون القرآن ويرون جواز إثبات التفسير بجانب القرآن فظنها بعض الناس - لتناول الزمن عليها - من أوجه القراءات التى صحّت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها عنه أصحابه.

ومما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، ما روى عن مجاهد أنه قال: "لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجتُ أن أسأله عن كثير مما سألته عنه".

هذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة فى تعرف بعض معانى القرآن، وليس هذا عملاً ألياً لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل، إذ ليس حمل المجمال على المبين، أو المطلق على المقيد، أو العام على الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذى يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة.

النبي صلى الله عليه وسلم:

المصدر الثاني الذى كان يرجع إليه الصحابة في تفسيرهم لكتاب الله تعالى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الواحد منهم إذا أشكلت عليه آية من كتاب الله، رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها، فبين له ما خفى عليه، لأن وظيفته البيان، كما أخبر الله عنه بذلك في كتابه حيث قال: " {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] .. وكما نَبَّهَ على ذلك رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه أبو داود بسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا وإنى أُوتيتُ الكتابَ ومثله معه. ألا يوشك رجلُ شبعانٍ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرَّموه" ... الحديث.

والذى يرجع إلى كتب السُّنَّة يجد أنها قد أفردت للتفسير باباً من الأبواب التى اشتملت عليها، ذكرت فيه كثيراً من التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك:

ما أخرجه أحمد والترمذى وغيرهما عن عدى بن حبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضَّالِّين هم النصارى".

وما رواه الترمذى وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصلاة الوسطى صلاة العصر".

وما رواه أحمد والشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال: "لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82] . شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله؛ وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم؟ إنما هو الشرك".

وما أخرجه مسلم وغيره عن عقبه بن عامر قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال: 60] .. ألا وإن القوة الرمي .

وما أخرجه الترمذى عن علىّ قال: "سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال: "يوم النحر".

وما أخرجه الترمذى وابن جرير عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى} [الفتح: 26] .. قال: "لا إله إلا الله".

وما أخرجه أحمد والشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عُدَّ ب" قلت: أليس يقول الله: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8] ؟ قال: "ليس ذلك بالحساب.. ولكن ذلك العرض".

وما أخرجه أحمد ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة". وغير هذا كثير مما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الاجتهاد وقوة الاستنباط

كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا في ذلك إلى اجتهادهم وإمال رأيهم، وهذا بالنسبة لما يحتاج إلى نظر واجتهاد، أما ما يمكن فهمه بمجرد معرفة اللغة العربية فكانوا لا يحتاجون في فهمه إلى إعمال النظر، ضرورة أنهم من خُلص العرب، يعرفون كلام العرب ومناحيهم في القول، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك في الشعر الجاهلة الذي هو ديوان العرب، كما يقول عمر رضي الله عنه.

أدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة:

وكثير من الصحابة كان يُفسر آي القرآن بهذا الطريق، أعنى طريق الرأى والاجتهاد، مستعيناً على ذلك بما يأتى:

أولاً: معرفة أوضع اللغة وأسرارها.

ثانياً: معرفة عادات العرب.

ثالثاً: معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن.

رابعاً: قوة الفهم وسعة الإدراك.

فمعرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها، تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب. ومعرفة عادات

العرب تعين على فهم كثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم، فمثلاً قوله تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ}.. وقوله: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}. لا يمكن فهم المراد منه، إلا لمن عرف عادات العرب في الجاهلية وقت نزول القرآن.

ومعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن، تعين على فهم الآيات التي فيها الإشارة إلى أعمالهم والرد عليهم.

ومعرفة أسباب النزول، وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، تعين على فهم كثير من الآيات القرآنية، ولهذا قال الواحدى: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها". وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معانى القرآن" وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول بعين على فهم الآية. فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".

وأما قوة الفهم وسعة الإدراك، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده وكثير من القرآن يدق معناه، ويخفى المراد منه، ولا يظهر إلا لمن أوتى حظاً من الفهم ونور البصيرة، ولقد كان ابن عباس صاحب النصيب الأكبر والحظ الأوفر من ذلك، وهذا ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك حيث قال: "اللَّهُمَّ فَاقِهِ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ".

وقد روى البخارى في صحيحه بسنده إلى أبي جحيفة رضى الله عنه أنه قال: "قلت لعلى رضى الله عنه: هل عندكم شئ من الوحي إلا ما

في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وألاً يُقتل مسلم بكافر". هذه هي أدوات الفهم والاستنباط التي استعان بها الصحابة على فهم كثير من آيات القرآن، وهذا هو مبلغ أثرها في الكشف عن غوامضه وأسراره.²

التفسير في عصر الصحابة

طفق المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يتدارسون القرآن، ويتفهمون معناه بطريق الرواية عن صحبه الذين كانوا يجلسون في حضرته كثيراً.

من خصائص هذه المرحلة أنهم لا يتكلفون في التفسير ولا يتعمقون ذلك التعمق المذموم فاكتفوا من الآيات بمعناها العام ولم يلتزموا تفصيل ما لا فائدة كبيرة في تفصيله، فيكتفون مثلاً بمعرفة أن المراد بقوله تعالى: (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) 1، أنه تعداد لنعم الله تعالى على عباده.

ومن خصائصه قلة التدوين، فقد كانوا في غالبيتهم أميين ولم تتوفر لهم وسائل وأدوات الكتابة ثم بعد هذا كله فقد نهاهم -عليه الصلاة والسلام- أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن خشية أن يلتبس عليهم كلامه بالآيات، ثم أذن لهم بالكتابة بعد أن أمن عليهم من اللبس.

² المرجع السابق

فكتب عبد الله بن عمرو بن العاص "الصحيفة الصادقة" كما سماها صاحبها حيث قال: "هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليس بيني وبينه فيها أحد.

وقد اشتهر بالتفسير عشرة من الصحابة: الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير وأكثر من روى عنه التفسير من الخلفاء على بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة الباقيين نادرة، وروى عن ابن مسعود المتوفى بالمدينة سنة 32 هـ أكثر مما روى عن علي رضي الله عنه.

أما عبد الله بن عباس المتوفى بالطائف سنة 68 هـ فهو ترجمان القرآن، وحبر الأمة، وشيخ المفسرين، فقد روى عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل. قال صاحب كشف الظنون ما نصه: وأصح الطرق في الرواية عنه:

(1) طريق عليّ بن أبي طلحة الهاشمي المتوفى سنة 143 هـ، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه.

(2) طريق قيس بن مسلم الكوفي المتوفى سنة 120 هـ عن عطاء بن السائب.

(3) طريق ابن إسحاق صاحب السيرة.

(4) طريق أبي النصر محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة 146 هـ وهى أوهى الطرق، ولا سيما إذا وافقتها طريق محمد بن مروان السدّى الصغير المتوفى سنة 186 هـ.

وقد طبع تفسير ينسب إلى ابن عباس برواية الفيروز بادی صاحب القاموس، سماه (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس).

وروى عن أبيّ بن كعب المتوفى سنة 20 هـ تفسير كبير رواه عنه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أقرأ الصحابة وسيد القراء.

وزيد بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة 45 هـ أحد كتاب الوحي، وهو الذي جمع المصحف أولاً في عهد أبي بكر، ثم كان رئيس الجماعة الذين كتبوا المصحف في عهد عثمان. وأبو موسى الأشعري هو عبد الله بن قيس الأشعري المتوفى سنة 44 هـ.

التفسير في عهد التابعين

مدارس التفسير في عصر التابعين:

فتح الله على المسلمين كثيراً من بلادهم العالم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الخلفاء من بعده، ولم يستقروا جميعاً في بلد واحد من بلاد المسلمين، بل نأى الكثير منهم عن المدينة مشرق النور الإسلامى ثم استقر بهم النوى، مؤرّعين على

جميع البلاد التي دخلها الإسلام، وكان منهم الولاة، ومنهم الوزراء، ومنهم القضاة، ومنهم المعلمون، ومنهم غير ذلك.

وقد حمل هؤلاء معهم إلى هذه البلاد التي رحلوا إليها، ما وعوه من العلم، وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلونه لمن بعدهم، فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية، أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون.

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير، وتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق، وهذه المدارس الثلاث، هي أشهر مدارس التفسير في الأمصار في هذا العهد.

مدرسة للتفسير بمكة

هم أصحاب عبد الله بن عباس، وأشهرهم:

- (1) مجاهد بن جبر المتوفى سنة 103 هـ وقد قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري.
- (2) سعيد بن جبير المتوفى سنة 94 هـ.
- (3) عكرمة مولى ابن عباس المتوفى بمكة سنة 105 هـ.
- (4) طاوس بن كيسان اليماني المتوفى بمكة سنة 106 هـ.
- (5) عطاء بن أبي رباح المكي المتوفى سنة 114 هـ.

قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك. وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن البصري أعلمهم بالحلال والحرام

مدرسة للتفسير بالكوفة(العراق)

هم أصحاب ابن مسعود، وأشهرهم:

- (1) علقمة بن قيس المتوفى سنة 102 هـ.
- (2) الأسود بن يزيد المتوفى سنة 75 هـ.
- (3) إبراهيم النخعي المتوفى سنة 95 هـ.
- (4) الشعبي المتوفى سنة 105 هـ.

مدرسة للتفسير بالمدينة

علماء المدينة أصحاب زيد بن أسلم العدوي المدني المتوفى سنة

136 هـ، وله تفسير يعدّ من أمهات التفاسير، ومن أشهرهم:

- (1) ابنه عبد الرحمن بن زيد المتوفى سنة 182 هـ.
- (2) مالك بن أنس المتوفى سنة 179 هـ.
- (3) الحسن البصري المتوفى سنة 121 هـ.
- (4) عطاء بن أبي مسلم الخراساني المتوفى سنة 135 هـ.
- (5) محمد بن كعب القرظي المتوفى سنة 117 هـ.

- (6) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي المتوفى سنة 90 هـ.
- (7) الضحاك بن مزاحم المتوفى سنة 105 هـ.
- (8) عطية بن سعيد العوفي المتوفى سنة 111 هـ.
- (9) قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة 117 هـ.
- (10) الربيع بن أنس المتوفى سنة 139 هـ.
- (11) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير المتوفى سنة 127 هـ.

ولم يكن هناك من فارق كبير يذكر بين منهج الصحابة ومنهج التابعين لكونهم إنما تلقوا التفسير عن الصحابة، وورثوا عنهم أيضا الورع عن القول في القرآن الكريم بغير علم.

وثمة فروق بين المنهجين بانتشار العلم ودخول أمم شتى ذات أفكار ومنازع متعددة وكان لها أثر في التفسير. واتسعت رواية الإسرائيليات لدخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام وكان عندهم علم من الكتاب لاقى نفوسا متفتحة لسماع تفاصيل أخبار القرآن وقصصه فرجت طائفة منهم في التفسير بكثير من تلك الأخبار دون تحري لصحة أو تحقق لخبر.

وكثر الاختلافات والأقوال في تفسيرهم للآية الواحدة، بل للكلمة الواحدة، ومن جهة أخرى اتسع نطاق التفسير فشمّل آيات لم يشملها في الفترة السابقة؛ وذلك لدخول أمم أعجمية وأشخاص لم يعارضوا نزول الآيات وأسبابها، فكانت حاجة هؤلاء وأولئك ماسة

لأن يبين لهم ما لم يبين من قبل فاتسع بهذا مجال التفسير عمقا ومساحة.

وازداد التدوين للتفسير في هذه الفترة فقد كثر عدد الكتاب وتوفرت وسائل الكتابة، لكنه لم يكن مبويا فكانت الأحاديث فيه غير مرتبة فحديث عن الزكاة يتلوه تفسير آية عن الخمر مثلا ثم يتلوه حديث عن البيع ونحو ذلك، ومما تم تدوينه في هذه المرحلة الصحيفة الصحيحة وهي التي أملاها أبو هريرة -رضي الله عنه- على همام بن منبه، وهي موجودة في مسند الإمام أحمد بكاملها ونقل الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- منها عددا كثيرا. هذه بعض الفوارق بين منهج الصحابة -رضي الله عنهم- ومنهج التابعين.

قيمة التفسير المأثور عن التابعين

اختلف العلماء في الرجوع إلى تفسير التابعين والأخذ بأقوالهم إذا لم يُؤثّر في ذلك شيء من الرسول صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فنقل عن الإمام أحمد رضى الله عنه روايتان في ذلك: رواية بالقبول، ورواية بعدم القبول، وذهب بعض العلماء: إلى أنه لا يُؤخذ بتفسير التابعي، واختاره ابن عقيل، وحكى عن شعبة. واستدل أصحاب هذا الرأي على ما ذهبوا إليه: بأن التابعين ليس لهم سماع من الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يمكن الحمل عليه كما قيل في تفسير الصحابي: إنه محمول على سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم . وبأنهم لم يشاهدوا القرائن

والأحوال التي نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً، ومع ذلك فعدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصَّ على عدالة الصحابة. نُقِلَ عن أبي حنيفة أنه قال: "ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال".

وقد ذهب أكثر المفسرين: إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير، لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة، فمجاهد مثلاً يقول: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. وقتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعتُ فيها شيئاً. ولذا حكى أكثر المفسرين أقوال التابعين في كتبهم ونقلوها عنهم مع اعتمادهم لها.

مميزات التفسير في هذه المرحلة

يمتاز التفسير في هذه المرحلة بالمميزات الآتية:

أولاً: دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات والنصرانيات، وذلك بكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وكان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية، كأخبار بدء الخليقة، وأسرار الوجود، وبدء الكائنات. وكثير من القصص. وكانت النفوس ميّالة لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية..

وأكثر من رُوى عنه في ذلك من مسلمي أهل الكتاب: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.

ثانياً: ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقى والرواية، إلا أنه لم يكن تلقياً ورواية بالمعنى الشامل كما هو الشأن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بل كان تلقياً ورواية يغلب عليهما طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون - بوجه خاص - بالتلقى والرواية عن إمام مصرهم، فالمكيون عن ابن عباس، والمدنيون عن أبيّ، والعراقيون عن ابن مسعود... وهكذا.

ثالثاً: ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي، فظهرت بعض تفسيرات تحمل في طياتها هذه المذاهب، فنجد مثلاً قتادة بن دعامة السدوسي يُنسب إلى الخوض في القضاء والقدر ويتهم بأنه قدرى، ولا شك أن هذا أثر على تفسيره، ولهذا كان يتحرج بعض الناس من الرواية عنه. ونجد الحسن البصرى قد فسّر القرآن على إثبات القدر، ويكفّر من يكذب به

رابعاً: كثرة الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم، وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين.³

الطبقة الثالثة

³ المرجع السابق

كانت الصحابة هم الطبقة الأولى وتلتهم الطبقة الثانية هم التابعون ثم تلتهم الطبقة الثالثة، جمعت أقوال الصحابة والتابعين: وأشهر هؤلاء:

- (1) سفيان بن عيينة المتوفى سنة 198 هـ.
- (2) وكيع بن الجراح الكوفي المتوفى سنة 197 هـ.
- (3) شعبة بن الحجاج المتوفى سنة 160 هـ.
- (4) يزيد بن هرون السّلي.
- (5) عبد الرازق المتوفى سنة 211 هـ.
- (6) آدم بن أبي إياس المتوفى سنة 221 هـ.
- (7) إسحاق بن راهويه الإمام الحافظ النيسابوري المتوفى سنة 238 هـ.
- (8) روح بن عبادة المتوفى سنة 205 هـ.
- (9) عبد الله بن حميد الجهمي.
- (10) أبو بكر بن أبي شيبة الإمام الحافظ الكوفي المتوفى سنة 335 هـ.

المرحلة الثالثة

هو عصر التدوين: ونقصد بهذه المرحلة تدوين الحديث النبوي مبوياً، وكون التفسير باباً من أبوابه حيث نشط في عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى.

وكان لهم عناية خاصة بالإسناد، ولم تكن التفسيرات كلها مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل ضم إليها تفاسير الصحابة -رضي الله عنهم- وتفسير التابعين، رحمهم الله تعالى.

ودخل في التفسير في تلك المرحلة الكثير من الإسرائيليات وزادت كثيرا عن المرحلة السابقة.

واتسع التفسير بالرأي، فهذا مجاهد بن جبر يفسر قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} ، بقوله: "مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا". وقد رد عليه تفسيره هذا ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى- وعقب عليه بما أبطله . وهذا ولا شك كان نواة لظهور المذاهب الفكرية ونشأة التفسير بالرأي بعد ذلك.

الطبقة الرابعة طبقة ابن جرير:

تلت هؤلاء طبقة أخرى، تعرف بطبقة ابن جرير. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ وهو من أشهر مفسري هذا العصر. قال الإمام السيوطي في الإتيان: وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وللإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين اهـ. وقال النووي النيسابوري الشافعي في تهذيبه: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله، وقال أبو إسحاق الإسفرائيني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا،

وروى أن ابن جرير قال لأصحابه: أتنتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا كم يكون قدره؟ قال: ثلاثين ألف ورقة. قالوا هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاخصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ذكر ذلك السبكي في طبقاته.

ومن هذه الطبقة

- (1) على بن أبي طلحة المتوفى سنة 343 هـ.
- (2) ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي المتوفى سنة 327 هـ.
- (3) ابن ماجه الحافظ أبو عبد الله محمد القزويني المتوفى سنة 273 هـ.
- (4) ابن مردويه أبو بكر أحمد بن موسى الأصفهاني المتوفى سنة 410 هـ.
- (5) أبو الشيخ بن حبان البستي المتوفى سنة 354 هـ.
- (6) إبراهيم بن المنذر المتوفى سنة 236 هـ.

هذه المرحلة الرابعة: مرحلة "التصنيف": ونعني بها كتابة التفسير بالمأثور مستقلا عن الحديث، شاملا لآيات القرآن، مرتبا حسب ترتيب المصحف، ومن المؤلفات في تلك المرحلة نسخة كبيرة جمعها أبو العالية، في التفسير عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة تفسيرا للقرآن عن الحسن البصري -رحمه الله تعالى- وكان عند زيد بن أسلم كتاب في التفسير.

وألف إسماعيل بن عبد الرحمن السدي تفسيراً للقرآن، بل ومن أشهرها تفسير الطبري، رحمه الله تعالى.

ومن خصائص تلك المرحلة:

1- أن ما دون فيها كان التفسير بالمأثور عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعن أصحابه وتابعيهم، وكان مشوباً بالرأي وتأييد بعض المذاهب.

2- أنهم اعتنوا بالإسناد المتصل إلى صاحب التفسير المروي.

3- لم تكن لهم عناية بالنقد وتحري الصحة في رواية الأحاديث في التفسير اكتفاء منهم بذكر السند، بل كان بعضهم يذكر كل ما روي في الآية من صحيح وسقيم ولم يتحرر الصحة، بل لم يقصدها كابن جريج مثلاً.

4- اتسعت الرواية بالإسرائيليات في تلك الفترة، اتساعاً كبيراً ودون كثير منها في التفسير.

الطبقة الخامسة طبقة المفسرين بحذف الأسانيد:

ألف بعد هؤلاء جماعة من المفسرين لهم تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد، من أشهرهم:

(1) أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن السريّ النحوي المتوفي سنة 310 هـ وقد سمي تفسيره (معاني القرآن).

(2) أبو على الفارسي الحجة الثبت في اللغة والبلاغة، وصاحب المؤلفات الكثيرة في مختلف الفنون، توفي سنة 377 هـ.

(3) أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلي المتوفى سنة 351 هـ.

(4) أبو جعفر النحاس النحوي المصري المتوفى سنة 338 هـ.

(5) مكّي بن أبي طالب القيسي النحوي المغربي المتوفى سنة 437 هـ.

(6) أبو العباس أحمد بن عمار المهدي المتوفى سنة 430 هـ وله تفسير يسمى (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل).

وقد دخل في التفسير في هذه الفترة الدخيل، إذ نقلت الأقوال بترا محذوفة الأسانيد، فالتبس الصحيح بالعليل، وصار كل من سنج له قول يورده، ومن خطر بباله شيء يعتمده، غير ملتفت إلى ما روى عن السلف الصالح في ذلك، ومن هم القدوة في هذا الباب.

المرحلة الخامسة:

هي من أهم مراحل التفسير وأخطرها، وكأنما كان كل ما شاب التفسير في المراحل السابقة من كدر إنما هو تمهيد وتوطئة لتلك المرحلة حيث وجدت فيها طائفة من أعداء الإسلام فرصة لبث أفكارهم وشبهاتهم ودس أكاذيبهم عبرها.

وكان من خصائص تلك المرحلة أنهم اختصروا فيها الأسانيد ونقلوا الآثار المروية عن السلف دون أن ينسبوا لقائلها مما سهل لأعداء

هذا الدين وممن يريد الكيد له أن يبث سمومه بهذه الطريقة فتلتبس على كثير من المسلمين.

ومن خصائصها أن ازداد القول في التفسير بالرأي واتسع مجاله المذموم منه والمحمود، وتجرءوا على القول في القرآن من غير علم وحرص بعضهم على الإكثار من إيراد الأقوال في تفسير الآية الواحدة، فصار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده، فيأتي من بعده فيظنه صحيحا أو أن له أصلا.

أما عن الإسرائيليات وغزوها للتفسير في هذه المرحلة فحدثت كثيرا فهو عصرها الذهبي واشتغلوا بها عن البحث الجاد الأسى في أمور الدين.

المرحلة السادسة:

وهي نتيجة حتمية للمرحلة السابقة، حيث انفتح الباب على مصراعيه فدخل منه الغث والسمين، الصحيح والعليل، ولم يزل الباب مفتوحا إلى عصرنا هذا.

فدخل في التفسير من هو ليس من أهله وتحول مسار التفسير إلى أن يعتني أرباب العلوم بما يوافق مذاهبهم وعلومهم، فكان كل من برع في علم من العلوم غلب ذلك على تفسيره. فالفقيه يكاد يسرد فيه الفقه ولا شيء سواه وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع والرد على المخالفين، كالقرطبي والجصاص والإخباري ليس له هم إلا سرد القصص واستيفاءها كالثعلبي والنحوي ليس له هم إلا الإعراب

وتكثير الأوجه المحتملة فيه، كالزجاج والواحدى وأبي حيان وصاحب العلوم العقلية ملاً تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبههم والرد عليها كالفخر الرازي حتى قال فيه بعضهم: "فيه كل شيء إلا التفسير"

ونشأ كثير من الفرق والمذاهب المنحرفة، وكلها يستدل بآيات من القرآن يدعم بها أصول مذهبه وإن لم توافقها انحرف بمعانيها انحرافاً يلحد بها إليها.

وظهر التعصب المذهبي بأسوأ أحواله فتشعبت الآراء والمذاهب الفلسفية وتعددت مسائل الكلام.

الأسئلة

1. كيف كانت الصحابة يفسرون القرآن؟
2. ما هي مكانة تفسير الطبري
3. أكتب فقرة عن مصادر التفاسير في عهد الصحابة
4. أكتب فقرة موجزة عن التفسير في عهد التابعين
5. أكتب مقالة عن مراحل التفسير عبر العصور

الباب الثالث:

التفسير في العصر الحديث : اتجاهاته ومناهجه

المنهج التقليدي في التفسير: مزاياه وعيوبه

قال الذهبي: لم يترك الأوائل للأواخر كبير جهد في تفسير كتاب الله، والكشف عن معانيه ومرامييه، إذ أنهم نظروا إلى القرآن باعتبار دستورهم الذي جمع لهم بين سعادة الدنيا والآخرة، فتناولوه من أول نزوله بدراساتهم التفسيرية التحليلية، دراسة سارت مع الزمن على تدرج ملحوظ.

والذي يقرأ كتب التفسير على اختلاف ألوانها، لا يدخله شك في أن كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفاه هؤلاء المفسرون الأقدمون حقه من البحث والتحقيق، فالناحية اللغوية، والناحية البلاغية، والناحية الأدبية، والناحية النحوية، والناحية الفقهية، والناحية المذهبية، والناحية الكونية الفلسفية. كل هذه النواحي وغيرها تناولها المفسرون الأول بتوسع ظاهر ملموس، لم يترك لمن جاء بعدهم - إلى ما قبل عصرنا - من عمل جديد، أو أثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي ألفوها، اللهم إلا عملاً ضئيلاً لا يعدو أن يكون جمعاً لأقوال متقدمين، أو شرحاً لغامضها، أو نقداً وتفصيلاً لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحاً لرأي على رأي، مما جعل

التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود، خالية من التجديد والابتكار.

ولقد ظل الأمر على هذا، وبقي التفسير واقفاً عند هذه المرحلة. حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديث، فاتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود، ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة - وإن كان لها اعتماد كبير على ما دونه الأوائل في التفسير - أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً لا يسعنا إنكاره، ذلك هو العمل على التخلص من كل هذه الاستطرادات العلمية، التي حُشرت في التفسير حشراً ومُزجت به على غير ضرورة لازمة، والعمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على أصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وإلباس التفسير ثوباً أدبياً اجتماعياً، يُظهر روعة القرآن، ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جدد من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموفقين في الغلو والاعتدال، وكان ذلك من أجل أن يعرف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمشى مع الزمن في جميع أطواره ومراحلته... وهناك غير هذه الآثار آثار أخرى ظهرت في الاتجاه التفسيري في هذا العصر الحديث، نشأت عن عوامل مختلفة، أهمها: التوسع العلمي،

والتأثر بالمذهب والعقيدة، والإلحاد الذى قام على حرية الرأى
الفاسد. فسوف نفضل عن التفاسير المعاصر في الباب الاتي

المشاهير في التفاسير بالمأثور

1. تنوير المقياس من تفسير ابن عباس

يقول الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون : وقد نُسب إلى ابن
عباس رضى الله عنه جزء كبير في التفسير، وطُبع في مصر مراراً باسم
"تنوير المقياس من تفسير ابن عباس" جمعه أبو طاهر محمد بن
يعقوب الفيروز آبادى الشافعى، صاحب القاموس المحيط، وقد
اطلعتُ على هذا التفسير، فوجدتُ جامعه يسوق عند الكلام عن
البسمة الرواية عن ابن عباس بهذا السند: "أخبرنا عبد الله الثقة
بن المأمون الهروى، قال: أخبرنا أبى، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمود
بن محمد الرازى، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروى، قال:
أخبرنا على بن إسحاق السمرقندى، عن محمد بن مروان، عن
الكلبي، عن أبى صالح، عن ابن عباس."

وعند تفسير أول سورة البقرة، وجدته يسوق الكلام بإسناده إلى عبد
الله ابن المبارك، قال: حدثنا على بن إسحاق السمرقندى عن محمد
بن مروان، عن الكلبي، عن أبى صالح، عن ابن عباس.

وفي مبدأ كل سورة يقول: وبإسناده عن ابن عباس.

وهكذا يظهر لنا جلياً، أن جميع ما روى عن ابن عباس في هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان السدى الصغير، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وقد عرفنا مبلغ رواية السدى الصغير عن الكلبي. وحسبنا في التعقيب على هذا ما روى من طريق ابن عبد الحكم قال: "سمعت الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيهه بمائة حديث" وهذا الخبر - إن صح عن الشافعي - يدلنا على مقدار ما كان عليه الوضّاعون من الجرأة على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباس، وليس أدل على ذلك، من أنك تلمس التناقض ظاهراً بين أقوال في التفسير نسبت إلى ابن عباس ورويت عنه. وسيأتى - عند الكلام عن الوضع في التفسير - أن هذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس لم يفقد شيئاً من قيمته العلمية في الغالب، وإنما الشئ الذي لا قيمة له فيه، هو نسبته إلى ابن عباس.

أسباب الوضع على ابن عباس:

ويبدو أن السر في كثرة الوضع على ابن عباس، هو أنه كان من بيت النبوة والوضع عليه يُكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وُضع على غيره، أضف إلى ذلك أن ابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون، وكان من الناس من يتزلف إليهم، ويتقرّب منهم بما يرويه لهم عن جدهم

جامع البيان في تفسير القرآن (للطبري)

يعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان في الوقت نفسه يُعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي، نظراً لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق.

ويقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير، وقد كان هذا الكتاب من عهد قريب يكاد يُعتبر مفقوداً لا وجود له، ثم قدّر الله له الظهور والتداول، فكانت مفاجأة سارة للأوساط العلمية في الشرق والغرب أن وُجِدَت في حيازة أمير "حائل" الأمير حمود ابن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد نسخة مخطوطة كاملة من هذا الكتاب، طُبِعَ عليها الكتاب من زمن قريب، فأصبحت في يدنا دائرة معارف غنية في التفسير المأثور.

ولو أننا تتبعنا ما قاله العلماء في تفسير ابن جرير، لوجدنا أن الباحثين في الشرق والغرب قد أجمعوا الحكم على عظيم قيمته، واتفقوا على أنه مرجع لا غنى عنه لطالب التفسير، فقد قال السيوطي رضي الله عنه: "وكتابه - يعني تفسير محمد بن جرير - أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين". وقال النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يُصنَّف مثل

تفسير الطبرى" وقال أبو حامد الإسفرايينى: "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً"، وقال ابن تيمية: "وأما التفاسير التى فى أيدى الناس، فأصحها تفسير ابن جرير الطبرى، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير والكلبى."

ويذكر صاحب لسان الميزان: أن ابن خزيمة استعار تفسير ابن جرير من ابن خالويه فردده بعد سنين ثم قال: "نظرتُ فيه من أوله إلى آخره فما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير" فابن خزيمة ما شهد هذه الشهادة إلا بعد أن اطلع على ما فى هذا التفسير من علم واسع غزير.

وهذا قد كتب "نولدكه" فى سنة ١٨٦٠ بعد اطلاعه على بعض فقرات من هذا الكتاب: "لو كان بيدنا هذا الكتاب لاستغينا به عن كل التفاسير المتأخرة، ومع الأسف فقد كان يظهر أنه مفقود تماماً، وكان مثل تاريخه الكبير مرجعاً لا يغيض معينه أخذ عنه المتأخرون معارفهم."

ويظهر مما بأيدينا من المراجع، أن هذا التفسير كان أوسع مما هو عليه اليوم، اختصر مؤلفه إلى هذا القدر الذى هو عليه الآن، كما أن كتابه فى التاريخ ظفر بمثل هذا البسط والاختصار، فابن السبكي يذكر فى طبقاته الكبرى: "أن أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟، فقال: ثلاثون ألف ورقة،

فقالوا: هذا ربما تفتى الأعمار قبل تمامه، فاختره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟، قالوا: كم قدره؟، فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إننا لله، ماتت الهمم.. فاختره في نحو ما اختصر التفسير."

وهذا ونستطيع أن نقول إن تفسير ابن جرير هو التفسير الذى له الألفية بين كتب التفسير، ألفية زمنية، وألفية من ناحية الفن والصناعة.

أما ألفتته الزمنية، فلأنه أقدم كتاب فى التفسير وصل إلينا، وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن، ولم يصل إلينا شئ منها، اللهم إلا ما وصل إلينا منها فى ثنايا ذلك الكتاب الخالد الذى نحن بصدده.

وأما ألفتته من ناحية الفن والصناعة، فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التى سلكها فيه مؤلفه، حتى أخرجه للناس كتاباً له قيمته ومكانته.

ونريد أن نعطي هنا مثلاً لطريقة ابن جرير فى تفسيره، بعد أن أخذنا فكرة عامة عن الكتاب، حتى يتبين للقارئ أن الكتاب واحد فى بابه، سبق به مؤلفه غيره من المفسرين، فكان عمدة المتأخرين، ومرجعاً مهماً من مراجع المفسرين، على اختلاف مذاهبهم، وتعدد طرائقهم،

الدُّرُ المنثور فى التفسير المأثور (للإمام السيوطي)

عرّف الجلال السيوطي نفسه هذا التفسير، ويّن لنا الحامل له على تأليفه، وذلك بمجموع ما ذكره في آخر كتاب الإتقان له، وما ذكره في مقدمة الدرّ المنثور نفسه، فقال في آخر الإتقان (١٨٣ / ٢) : "وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف، وقد تم والله الحمد في أربع مجلدات، وسميته "ترجمان القرآن".

وقال في مقدمة الدرّ المنثور (١/٢) : "وبعد.. فلما ألقتُ كتاب ترجمان القرآن - وهو التفسير المُسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرّجة منها واردات، رأيتُ قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخّصتُ منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر، مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر، وسميته بالدرّ المنثور، في التفسير المأثور." ومن هاتين العبارتين يتبين لنا أن السيوطي اختصر كتابه الدرّ المنثور من كتابه ترجمان القرآن، وحذف الأسانيد مخافة الملل، مع عزوه كل رواية إلى الكتاب الذي أخذها منه.

ويقول الإمام السيوطي في آخر الإتقان (٣ / ١٩٠) : "وقد شرعتُ في تفسير جامع لجميع ما يُحتاج إليه من التفاسير المنقولة، والأقوال المعقولة، والاستنباطات والإشارات، والأعاريب واللغات، ونكت البلاغة ومحاسن البدائع وغير ذلك، بحيث لا يُحتاج معه إلى غيره

أصلاً، وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين، وهو الذى جعلت هذا الكتاب - يعنى الإتقان مقدمة له."

ومن هذه العبارة يتبين لنا أن كتاب: "مجمع البحرين، ومطلع البدرين" يشبه في منهجه وطريقته - إلى حد كبير - تفسير ابن جرير الطبرى، ولكن لا ندرى إذا كان السيوطي قد أتم هذا التفسير أم لا، ويظهر لنا أنه لا صلة بينه وبين كتاب الدر المنثور، وذلك لأنى استعرضتُ كتاب الدر المنثور فوجدته لا يتعرض فيه مطلقاً لما ذكره من منهجه في مجمع البحرين ومطلع البدرين، فلا استنباط، ولا إعراب، ولا نكات بلاغية، ولا مُحَسِّنَات بدعية، ولا شئ مما ذكر أنه سيعرض له في مجمع البحرين ومطلع البدرين، وكل ما فيه هو سرد الروايات عن السلف في التفسير بدون أن يُعَقَّب عليها، فلا يُعَدَّل ولا يُجَرَّح، ولا يُضَعَّف ولا يُصَحِّح، فهو كتاب جامع فقط لما يُروى عن السلف في التفسير، أخذه السيوطى من البخارى، ومسلم، والنسائى، والترمذى، وأحمد، وأبى داود، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وعبد ابن حميد، وابن أبى الدنيا، وغيرهم ممن تقدّمه ودَوَّن التفسير.

والإمام السيوطى ، مع جلاله قدره، ومعرفته بالحديث وعلله، لم يتحر الصحة فيما جمع في هذا التفسير، وإنما خلط فيه بين الصحيح والعليل، فالكتاب يحتاج إلى تصفية حتى يتميز لنا عثه من سمينه، وهو مطبوع في ست مجلدات، ومتداول بين أهل العلم.وهو

الكتاب الوحيد الذى اقتصر على التفسير المأثور من بين هذه الكتب التى تكلمنا عنها، فلم يخلط بالروايات التى نقلها شيئاً من عمل الرأى كما فعل غيره.

تفسير القرآن العظيم (لابن كثير)

تفسير ابن كثير من أشهر ما دُوّن في التفسير المأثور، ويُعتبر في هذه الناحية الكتاب الثانى بعد كتاب ابن جرير. اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسرى السلف، ففسّر فيه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها، مع الكلام عما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً. وقد طُبِع هذا التفسير مع معالم التفسير للبخارى، ثم طُبِع مستقلاً في أربعة أجزاء كبار.

وقد قدّم له مؤلفه بمقدمة طويلة هامة، تعرّض فيها لكثير من الأمور التى لها تعلق واتصال بالقرآن وتفسيره، ولكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذى ذكره في مقدمته في أصول التفسير.

يمتاز في طريقته بأنه يذكر الآية، ثم يُفسّرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بأية أخرى ذكرها وقارن بين الآيتين حتى يتبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير الذى يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الكتاب أكثر ما عُرف من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد.

ثم بعد أن يفرغ من هذا كله، يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، ويبين ما يُحتج به وما لا يُحتج به منها، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ومَن يليهم من علماء السلف.

ونجد ابن كثير يُرَجِّح بعض الأقوال على بعض، ويُضَعِّف بعض الروايات، ويُصَحِّح بعضاً آخر منها، ويُعَدِّل بعض الرواة ويُجَرِّح بعضاً آخر. وهذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال.

وكثيراً ما نجد ابن كثير ينقل من تفسير ابن جرير، وابن أبي حاتم، وتفسير ابن عطية، وغيرهم ممن تقدّمه.

ومما يمتاز به ابن كثير، أنه يُنَبِّه إلى ما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات، ويُحَدِّث منها على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [٦٧] وما بعدها من سورة البقرة: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ...} .. إلى آخر القصة، نراه يقص لنا قصة طويلة وغريبة عن طلبهم للبقرة المخصوصة، وعن وجودهم لها عند رجل من بنى إسرائيل كان من أبرّ الناس بأبيه.. إلخ، ويروي كل ما قيل من ذلك عن بعض علماء السلف.. ثم بعد أن يفرغ من هذا كله يقول ما نصه: "وهذه السياقات عن عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم، فيها اختلاف، والظاهر أنها مأخوذة من

كتب بنى إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تُصَدَّق ولا تُكَدَّب،
فهذا لا يُعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا. والله أعلم

كما نلاحظ على ابن كثير أنه يدخل في المناقشات الفقهية،
ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام، وإن
شئت أن ترى مثلاً لذلك فارجع إليه عند تفسير قوله تعالى في الآية
[١٨٥] من سورة البقرة: { ... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ
كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } .. الآية، فإنه ذكر أربع
مسائل تتعلق بهذه الآية، وذكر أقوال العلماء فيها، وأدلتهم على ما
ذهبوا إليه، وارجع إليه عند تفسير قوله تعالى في الآية [٢٣٠] من
سورة البقرة أيضاً: { فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً
غَيْرَهُ } .. الآية، فإنه قد تعرَّض لما يُشترط في نكاح الزوج المحلل، وذكر
أقوال العلماء وأدلتهم.

وهكذا يدخل ابن كثير في خلافات الفقهاء، ويخوض في مذاهيمهم
وأدلتهم كلما تكلم عن آية لها تعلق بالأحكام، ولكنه مع هذا مقتصد
مُقِلٌّ لا يُسرف قال السيوطي في ذيل "تذكرة الحفظ" والزرقاني في
"شرح المواهب": إنه لم يُؤلف على نمطه مثله.

التفسير بالرأى:

التفسير بالرأى، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر
لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه
دلالاتها، واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب

النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر، وسنذكرها قريباً إن شاء الله تعالى.
موقف العلماء من التفسير بالرأى:

اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز تفسير القرآن بالرأى، جوزه البعض ومنعه الآخرون

فقوم تشدّدوا في ذلك فلم يجرءوا على تفسير شئ من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم، وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شئ من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضی الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين.

وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأساً من أن يفسّروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن مَنْ كان ذا أدب وسيع فموسّع له أن يُفسّر القرآن برأيه واجتهاده.

والفريقان على طرفي نقيض فيما يبدو، وكل يُعزّز رأيه ويُقوّيه بالأدلة والبراهين. أما الفريق الأول - فريق المانعين - قد استدّلوا بما يأتي:

أولاً - قالوا: إن التفسير بالرأى قول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم منهي عنه فالتفسير بالرأى منهي عنه، دليل الصغرى: أن المفسّر بالرأى ليس على يقين بأنه أصاب ما أراد الله تعالى، ولا

يمكنه أن يقطع بما يقول، وغاية الأمر أنه يقول بالظن، والقول بالظن قول على الله بغير علم.

ودليل الكبرى: قوله تعالى: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} وهو معطوف على ما قبله من المحرّمات في قوله تعالى في الآية [٣٣] من سورة الأعراف: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} .. الآية، وقوله تعالى في الآية [٣٦] من سورة الإسراء: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

قد ردّ المجيزون هذا الدليل فقالوا: نمنع الصغرى. لأن الظن نوع من العلم، إذ هو إدراك الطرف الراجح. وعلى فرض تسليم الصغرى فإننا نمنع الكبرى، لأن الظن منهي عنه إذا أمكن الوصول إلى العلم اليقيني القطعي، بأن يوجد نص قاطع من نصوص الشرع، أو دليل عقلي موصل لذلك. أما إذا لم يوجد شيء من ذلك، فالظن كاف هنا، لاستناده إلى دليل قطعي من الله سبحانه وتعالى على صحة العمل به إذ ذلك. كقوله تعالى: {لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦] .. وقوله عليه الصلاة والسلام: "جعل الله للمصيب أجرين وللمخطئ واحداً"، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "فيم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله."

ثانياً - استدلووا بقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} ، فقد أضاف البيان إليه، فعُلمَ أنه ليس لغيره شئ من البيان لمعانى القرآن.

وأجاب المجيزون عن هذا الدليل فقالوا: نعم إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بالبيان ولكنه مات ولم يبيِّن كل شئ فما ورد بيانه عنه - صلى الله عليه وسلم - ففيه الكفاية عن فكره من بعده، وما لم يرد عنه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده، فيستدلون بما ورد بيانه على ما لم يرد، والله تعالى يقول في آخر الآية: {وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.

ثالثاً - استدَّلوا بما ورد في السُّنَّة من تحريم القول في القرآن بالرأى فمن ذلك:

١ - ما رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" .. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

٢ - ما رواه الترمذى وأبو داود عن جُنْدَب أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ".
وأجاب المجيزون عن هذين الحديثين بأجوبة:

منها: أن النهى محمول على مَنْ قال برأيه في نحو مشكل القرآن،

ومشتماه، من كل ما لم يُعلم إلا عن طريق النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة عليهم رضوان الله.

ومنها: أنه أراد - بالرأى - الرأى الذى يغلب على صاحبه من غير دليل يقوم عليه، أما الذى يشده البرهان، ويشهد له الدليل، فالقول به جائز، فالنهي على هذا متناول لمن كان يعرف الحق ولكنه له فى الشئ رأى وميل إليه من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق هواه، ليحتج به على تصحيح رأيه الذى يميل إليه، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لما لاح له هذا المعنى الذى حمل القرآن عليه. ومتناول لمن كان جاهلاً بالحق ولكنه يحمل الآية التى تحتل أكثر من وجه على ما يوافق رأيه وهواه، ويُرجح هذا الرأى بما يتناسب مع ميوله، ولولا هذا لما تَرَجَّحَ عنده ذلك الوجه. ومتناول أيضاً لمن كان له غرض صحيح ولكنه يستدل لغرضه هذا بدليل قرآنى يعلم أنه ليس مقصوداً به ما أراد، مثل الداعى إلى مجاهدة النفس الذى يستدل على ذلك بقوله تعالى: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}، [طه: ٢٤] ويريد من فرعون النفس.. ولا شك أن مثل هذا قائل فى القرآن برأيه إذا ادعى أنما المراد بفرعون هو النفس لا غير.

ومنها: أن النهى محمول على مَنْ يقول فى القرآن بظاهر العربية، ومن غير أن يرجع إلى أخبار الصحابة الذى شاهدوا تنزيهه، وأدوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله تعالى، وبدون أن يرجع إلى السماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن، وما فيه من المهمات. والحذف،

والاختصار، والإضمار، والتقديم، والتأخير، ومراعاة مقتضى الحال، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وما إلى ذلك من كل ما يجب معرفته لمن يتكلم في التفسير، فإنَّ النظر إلى ظاهر العربية وحده لا يكفي، بل لا بد من ذلك أولاً، ثم بعد ذلك يكون التوسع في الفهم والاستنباط.

فمثلاً قوله تعالى: {وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا} [الإسراء: ٥٩] معناه: وأتينا ثمود الناقة معجزة واضحة، وآية بيّنة على صدق رسالته، فظلموا بعقرها أنفسهم، ولكن الواقف عن ظاهر العربية وحدها بدون أن يستظهر بشئ مما تقدّم، يظن أن "مبصرة" من الإبصار بالعين، وهو حال من الناقة، وصف لها في معنى، ولا يدري بعد ذلك بِمَ ظلموا، ولا مَنْ ظلموا.

مفاتيح الغيب (للرازي)

مؤلف هذا التفسير، هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن عليّ، التميمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقَّب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المولود سنة 544 هـ (أربع وأربعين وخمسمائة من الهجرة). كان رحمه الله فريد عصره، ومتكلم زمانه، جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها، فكان إماماً في التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، ولقد أكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة، فكان العلماء يقصدونه من البلاد، ويشدون إليه الرحال من مختلف الأقطار، وقد أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الري، وعن الكمال السمعاني، والمجد

الجيلي، وكثير من العلماء الذين عاصروهم ولقيهم، وله فوق شهرته العلمية شهرة كبيرة في الوعظ، حتى قيل إنه كان يعظ باللسان العربي واللسان العجى، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء،

ولقد خَلَّف - رحمه الله - للناس مجموعة كبيرة من تصانيفه في الفنون المختلفة، وقد انتشرت هذه التصانيف في البلاد، ورزق فيها الحظوة الواسعة، والسعادة العظيمة، إذ أن الناس اشتغلوا بها، وأعرضوا عن كتب المتقدمين. ومن أهم هذه المصنفات: تفسيره الكبير المسى بمفاتيح الغيب، وهو ما نحن بصدده الآن، وله تفسير سورة الفاتحة في مجلد واحد، ولعله هو الموجود بأول تفسيره "مفاتيح الغيب"، وله في علم الكلام: المطالب العالية، وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان. وله في أصول الفقه: المحصول، وفي الحكمة: المخلص، وشرح الإشارات لابن سينا، وشرح عيون الحكمة، وفي الطلمسات: السر المكنون، ويقال: إنه شرح المفصل في النحو للزمخشري، وشرح الوجيز في الفقه للغزالي.. وغير هذا كثير من مصنفاته، التي يتجلى فيها علم الرجل الواسع الغزير.

هذا.. وقد كانت وفاة الرازى - رحمه الله - سنة 606 هـ (ست وستمائة من الهجرة) بالرى، ويقال في سبب وفاته: أنه كان بينه وبين الكرامية خلاف كبير وجدل في أمور العقيدة، وأخيراً سُمّوه فمات على إثر ذلك واستراحوا منه.

يقع هذا التفسير في ثمانى مجلدات كبار، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم، ويقول ابن قاضى شُهبة: إنه - أى الفخر الرازى - لم يتمه، كما يقول ذلك ابن خلكان فى وفيات الأعيان، يقول ابن حجر العسقلانى، فى كتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، يقول: "الذى أكمل تفسير فخر الدين الرازى، هو أحمد بن محمد بن أبى الحزم مكى نجم الدين المخزومى القمولى، مات سنة ٧٢٧ هـ (سبع وعشرين وسبعمائة من الهجرة) هو مصرى".

ثم إن القارئ فى هذا التفسير، لا يكاد يلحظ فيه تفاوتاً فى المنهج والمسلك، بل يجرى الكتاب من أوله إلى آخره على نمط واحد، وطريقة واحدة، تجعل الناظر فيه لا يستطيع أن يُميّز بين الأصل والتكملة، ولا يتمكن من الوقوف على حقيقة المقدار الذى كتبه الفخر، والمقدار الذى كتبه صاحب التكملة.

وإن تفسير الفخر الرازى ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير، بالأبحاث الفياضة الواسعة، فى نواح شتى من العلم، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول: "إنه - أى الفخر الرازى - جمع فيه كل غريب وغريبة".

اهتمام الفخر الرازى ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره:

وقد قرأت فى هذا التفسير، فوجدت أنه يمتاز بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض، وهو لا يكتفى بذكر مناسبة واحدة بل كثيراً ما يذكر أكثر من مناسبة.

اهتمامه بالعلوم الرياضية والفلسفية:

كما أنه يُكثر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية، وغيرها من العلوم الحادثة في المِلَّة، على ما كانت عليه في عهده، كاليثية الفلكية وغيرها، كما أنه يعرض كثيراً لأقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد، وإن كان يصوغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاته العقلية، ولكن بما يتفق مذهب أهل السُّنَّة.

موقفه من المعتزلة:

ثم إنه - كسُنِّي يرى ما يراه أهل السُّنَّة، ويعتقد بكل ما يقررونه من مسائل علم الكلام - لا يدع فرصة تمردون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليهم، رداً لا يراه البعض كافياً ولا شافياً. يقول الحافظ ابن حجر عنه في لسان الميزان: "وكان يُعاب بإيراد الشبهة الشديدة، ويُقَصِّر في حلها

موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة:

ثم إن الفخر الرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها، مع تأييده للمذهب الشافعي الذي يُقلِّده بالأدلة والبراهين.

كذلك نجده يستطرد لذكر المسائل الأصولية، والمسائل النحوية، والبلاغية، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية.

وبالجملة.. فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة، إذ أن هذه الناحية، هي التي غلبت عليه حتى كادت تُقَلِّل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن الكريم.

ومن أجل ذلك قال صاحب كشف الظنون: "إن الإمام فخر الدين الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، وخرج من شئ إلى شئ، حتى يقضى الناظر العجب" ونقل عن أبي حيان أنه قال في البحر المحيط: "جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شئ إلا التفسير."

ويظهر لنا أن الإمام فخر الدين الرازي كان مولعاً بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره، ما دام يستطيع أن يجد صلة ما بين المستنبط أو المستطرّد إليه وبين اللفظ القرآني، والذي يقرأ مقدمة تفسيره لا يسعه إلا أن يحكم على الفخر هذا الحكم، وذلك حيث يقول: "اعلم أنه مرَّ على لساني في بعض الأوقات، أن هذه السورة الكريمة - يريد الفاتحة - يمكن أن يُستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحُساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألقوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاهد والمباني، فلما شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب، قدّمتُ هذه المقدمة،

لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول" ... إلخ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل (للبيضاوى)

هذا تفسير الإمام القاضي ناصر الدين أبي سعيد أو أبي الخير عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي، ولد في المدينة البيضاء بفارس -والها نسبته- قرب شيراز، يعد من أكابر علماء أهل السنة والجماعة، وكان فقيهاً وأصولياً شافعيًا، ومتكلمًا ومحدثًا ومفسرًا ونحويا

تفسيره المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل متوسط الحجم، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السُّنَّة.

وقد اختصر البيضاوي تفسيره من الكشف للزمخشري، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات وكذلك استمد البيضاوي تفسيره من التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للفخر الرازي، ومن تفسير الراغب الأصفهاني، وضم لذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، كما أنه عمل فيه عقله، فضمنه نكتاً بارعة، ولطائف رائعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز، وعبارة تدق أحياناً وتخفى إلا على ذى بصيرة ثاقبة، وفطنة نيرة. كذلك نجد

البيضاوى كثيراً ما يقرر مذهب أهل السُّنَّة ومذهب المعتزلة، عندما يعرض لتفسير آية لها صلة بنقطة من نقط النزاع بينهم.

والبيضاوى رحمه الله مُقَلِّ جداً من ذكر الروايات الإسرائيلية، وهو يُصدِّر الرواية بقوله: رُوي، أو قيل ... إشعاراً منه بضعفها.

ثم إن البيضاوى إذا عرض للآيات الكونية، فإنه لا يتركها بدون أن يخوض في مباحث الكون والطبيعة، ولعل هذه الظاهرة سرت إليه من طريق التفسير الكبير للفخر الرازى،

ويقول الجلال السيوطى - رحمه الله - فى حاشيته على هذا التفسير المسماة بـ "نواهد الأبقار وشوارد الأفكار" ما نصه: "وإن القاضى ناصر الدين البيضاوى لخصَّ هذا الكتاب فأجاد، وأتى بكلُّ مُستجد، وماز فيه أماكن الاعتزال، وطرح موضع الدسائس وأزال، وحرَّر مهمات، واستدرك تتمات، فظهر كأنه سبيكه نضار، واشتهر اشتهاً الشمس فى رائعة النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكبَّ عليه العلماء تديساً ومطالعة، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارة

تفسير الجلالين

اشترك فى هذا التفسير الإمامان الجليلان، جلال الدين المحلّى، وجلال الدين السيوطى. أما جلال الدين المحلّى، فقد ابتدأ تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، ثم ابتدأ بتفسير الفاتحة، وبعد أن أتمها اخترمته المنية فلم يُفسِّر ما بعدها. وأما جلال

الدين السيوطى - فقد جاء بعد الجلال المحلّى فكملّ تفسيره، فابتدأ بتفسير سورة البقرة، وانتهى عند آخر سورة الإسراء، ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلّى لتكون ملحقة به. هذا هو الواقع. خلافا لبعض العلماء.

فالجلال المحلّى، فسّر الجزء الذى فسّره بعبارة موجزة محررة، في غاية الحسن ونهاية الدقة. والجلال السيوطى تابعه على ذلك ولم يتوسع؛ لأنه التزم بأن يتم الكتاب على النمط الذى جرى عليه الجلال المحلّى، كما أوضح هو ذلك في مقدمته، وذكر في خاتمة سورة الإسراء أنه ألف الجزء الذى ألفه في قدر ميعاد الكليم، وهو أربعون يوماً، كما ذكر في هذا الموضوع نفسه: أنه استفاد في تفسيره من تفسير الجلال المحلّى، وأنه اعتمد عليه في الآى المتشابهة، كما أنه اعترف - جازماً - بأن الذى وضعه الجلال المحلّى في قطعته أحسن مما وضعه هو بطبقات كثيرة."

وعلى الجملة.. فالسيوطى قد نهج في تفسيره منهج المحلّى "من ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف، وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعراب محلها كتب العربية."

ولا شك أن الذى يقرأ تفسير الجلالين، لا يكاد يلمس فرقاً واضحاً بين طريقة الشيخين فيما فسّراه، ولا يكاد يحس بمخالفة بينهما في

ناحية من نواحي التفسير المختلفة، اللهم إلا في مواضع قليلة لا تبلغ العشرة كما قيل.

ثم إن هذا التفسير، غاية في الاختصار والإيجاز، حتى لقد ذكر صاحب كشف الظنون عن بعض علماء اليمن أنه قال: "عددتُ حروف القرآن وتفسيره للجلالين فوجدتهما متساويين إلى سورة المزمّل. ومن سورة المدثر التفسير زائد على القرآن، فعلى هذا يجوز حمله بغير الوضوء."

ومع هذا الاختصار، فالكتاب قيّمٌ في بابه، وهو من أعظم التفاسير انتشاراً، وأكثرها تداولاً ونفعاً، وقد طُبِعَ مراراً كثيرة، وظفر بكثير من تعليقات العلماء وحواشيمهم عليه، ومن أهم هذه الحواشي: حاشية الجمل، وحاشية الصاوي، وهما متداولتان بين أهل العلم.

وذكر صاحب كشف الظنون: أن عليه حاشية لشمس الدين محمد ابن العلقمي سمّاها: قبس النيرين، فرغ من تأليفها سنة ٩٥٢ هـ (اثنين وخمسين وتسعمائة)، وحاشية مسماة بالجمالين، لمولانا الفاضل نور الدين علي بن سلطان محمد القاري نزيل مكة المكرمة، والمتوفى بها عام ١٠١٠ هـ (عشر وألف)، وشرح لجلال الدين محمد بن محمد الكرخي، وهو كبير في مجلدات سماه مجمع البحرين ومطلع البدرين، وله حاشية صغرى.. ولكن شيئاً مما ذكره صاحب كشف الظنون لم يقع تحت أيدينا، ولم نظفر بالاطلاع عليه

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (للألوسي)

مؤلف هذا التفسير هو: أبو الثناء، شهاب الدين، السيد محمود أفندى الألوسى البغدادى. ولد في سنة 1217 هـ اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ودرس في عدة مدارس، وكان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل، شافعي المذهب، إلا أنه في كثير من المسائل يُقَلِّد الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان رضى الله عنه، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد. ولقد خَلَّف - رحمه الله - للناس ثروة علمية كبيرة ونافعة، فمن ذلك تفسيره لكتاب الله، وهو الذى نحن بصدده الآن، وحاشيته على القطر، كتب منها في الشباب إلى موضع الحال، وبعد وفاته أتمها ابنه السيد نعمان الألوسى، وشرح السلم في المنطق، وقد فُقد، ومنها الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهوتية، والأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية، ودُرَّة الغواص في أوهام الخواص، والنفحات القدسية في المباحث الإمامية، والفوائد السنية في علم آداب البحث.

وقد توفي رحمه الله في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة 1270 هـ (سبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة) ، ودُفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخى.

ثم إن هذا التفسير - والحق يقال - قد أفرغ فيه مؤلفه وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرجته للناس كتاباً جامعاً لأراء السلف رواية ودراية، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير

أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي، وغيرها من كتب التفسير المعتمدة، وهو إذا نقل عن تفسير أبي السعود يقول - غالباً -: قال شيخ الإسلام. وإذا نقل عن تفسير البيضاوي يقول - غالباً -: قال القاضي، وإذا نقل عن تفسير الفخر الرازي يقول - غالباً -: قال الإمام. وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حكماً عدلاً بينها، ويجعل من نفسه نقاداً مُدققاً، ثم يبدي رأيه حراً فيما ينقل، فتراه كثيراً ما يعترض على ما ينقله عن أبي السعود، أو عن البيضاوي، أو عن أبي حيان، أو عن غيرهم.

موقف الألوسي من المخالفين لأهل السُّنَّة:

كان الألوسي سُنِّي العقيدة ومع ذلك مائلاً إلى السلفية، ونراه كثيراً ما يُقنِّد آراء المعتزلة والشيعة، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [١٥] من سورة البقرة: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} .. يقول بعد كلام طويل ما نصه: " ... وإضافته - أي الطغيان - إليهم، لأنه فعلهم الصادر منهم، بقدرهم المؤثرة بإذن الله تعالى فالاختصاص المشعرة به الإضافة، إنما هو بهذا الاعتبار، لا باعتبار المحلية والاتصاف، فإنه معلوم لا حاجة فيه إلى الإضافة، ولا باعتبار الإيجاد استقلالاً من غير

توقف على إذن الفعّال لما يريد، فإنه اعتبار عليه غبار، بل غبار ليس له اعتبار، فلا تهولنك جعجة الزمخشري وقعقعتة."

وانظر إلى ما كتبه قبل ذلك عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [٧] من السورة نفسها: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} تجده يطيل بما لا يتسع لذكره المقام هنا، من بيان إسناد الختم إليه عزّ وجلّ على مذهب أهل السنّة، ومن ذكر ما ذهب إليه المعتزلة في هذه الآية وما ردّ به عليهم، وفنّد به تأويلهم الذى يتفق مع مذهبهم الاعترالى.

الإسرائيليات

مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير وتطوره:

دخول الإسرائيليات في التفسير، أمر يرجع إلى عهد الصحابة رضى الله عنهم، وذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل كما تقدّم، مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن، والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل. والرجوع إلى أهل الكتاب، كان مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة، فكان الصحابي إذا مرّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني.

غير أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها، مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، امثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تُصَدِّقُوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبُوهم، وقولوا: {آمَنَّا بالله وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} [المائدة: ٥٩] .. الآية.

كما أنهم لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام، اللهم إلا إذا كان على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء به القرآن. كذلك كانوا لا يعدلون عما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب، لأنه إذا ثبت الشيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره، كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يُشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، والبعض الذي ضُرب به القتل من البقرة، ومقدار سفينة نوح، ونوع خشبها، واسم الغلام الذي قتله الخضر.. وغير ذلك، ولهذا قال الدهلوى بعد أن بيّن أن السؤال عن مثل هذا تكلف ما لا يعني: "وكانت الصحابة رضى الله عنهم يعدون مثل ذلك قبيحاً من قبيل تضييع الأوقات."

كذلك كان الصحابة لا يُصَدِّقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة. بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب

عن شئ فأجابوا عنه خطأ، رَدُّوا عليهم خطأهم. وبَيَّنوا لهم وجه الصواب فيه، فمن ذلك ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: "فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها."

فقد اختلف السلف في تعيين هذه الساعة، وهل هي باقية أو رُفِعَتْ؟ وإذا كانت باقية، فهل هي في جمعة واحدة من السنة أو في كل جمعة منها؟ فنجد أبى هريرة رضى الله عنه يسأل كعب الأحبار عن ذلك، فيجيبه كعب: بأنها في جمعة واحدة من السنة، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا ويبيِّن له: أنها في كل جمعة، فيرجع كعب إلى التوراة، فيرى الصواب مع أبى هريرة فيرجع إليه.

كما نجد أبى هريرة أيضاً يسأل عبد الله بن سلام عن تحديد هذه الساعة ويقول له: أخبرنى ولا تضن علىّ، فيجيبه عبد الله بن سلام بأنها آخر ساعة في يوم الجمعة، فيرد عليه أبو هريرة بقوله: كيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصادفها عبد مسلم وهو يُصَلِّي" وتلك الساعة لا يُصَلِّي فيها؟ فيجيبه عبد الله بن سلام بقوله: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يُصَلِّي"؟ ... الحديث.

فمثل هذه المراجعة التي كانت بين أبى هريرة وكعب تارة، وبينه وبين

ابن سلام تارة أخرى، تدلنا على أن الصحابة كانوا لا يقبلون كل ما يقال لهم، بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوا، ويردُّون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لا توافق وجه الصواب.

ومهما يكن من شئ فإن الصحابة - رضى الله عنهم - لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حدَّها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمما فهموه من الإباحة في قوله عليه السلام: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ."

كما أنهم لم يخالفوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكُذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ... الْآيَةَ" ولا تعارض بين هذين الحديثين، لأن الأول أباح لهم أن يُحَدِّثُوا عما وقع لبني إسرائيل من الأعاجيب، لما فيها من العبرة والعظة، وهذا بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوباً، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعقل أن يبيح لهم رواية المكذوب

أثر الإسرائيليات في التفسير:

ولقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسِّرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سئ في التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترع، مما جعل الناظر في كتب التفسير

التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها، لاعتقاده أنّ الكل من واد واحد.

تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة، وهي ما يأتي:

القسم الأول: ما يُعلم صحته بأن نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً صحيحاً، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخارى أو كان له شاهد من الشرع يؤيده. وهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثانى: ما يُعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثانى، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نكذِّبه، وتجاوز حكايته، لما تقدّم من قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تُصَدِّقُوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبُوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزلَ إلينا ... " الآية.

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر دينى، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كليهم، وعصا موسى من أى الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، وتعيين بعض البقرة الذى ضرب به قتيل بنى إسرائيل، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى..

إلى غير ذلك مما أهتمه الله في القرآن ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في ديناهم أو دينهم.

ثم إذا جاء شيء من هذا القبيل - أعنى ما سكت عنه الشرع ولم يكن فيه ما يؤيده أو يفنده - عن أحد من الصحابة بطريق صحيح، فإن كان قد جزم به فهو كالقسم الأول، يُقبل ولا يُرد، لأنه لا يعقل أن يكون قد أخذه عن أهل الكتاب بعد ما علم من نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تصديقهم. وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قبوله، لأن احتمال أن يكون الصحابي قد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، أو ممن سمعه منه، أقوى من احتمال السماع من أهل الكتاب، ولا سيما بعد ما تقرر من أن أخذ الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلاً بالنسبة لغيرهم من التابعين ومن يليهم.

أما إن جاء شئ من هذا عن بعض التابعين، فهو مما يُتوقف فيه ولا يُحكم عليه بصدق ولا يكذب، وذلك لقوة احتمال السماع من أهل الكتاب، لما عُرفوا به من كثرة الأخذ عنهم، وبُعْد احتمال كونه مما سُمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا إذا لم يتفق أهل الرواية من علماء التفسير على ذلك، أما إن اتفقوا عليه. فإنه يكون أبعد من أن يكون مسموعاً من أهل الكتاب، وحينئذ تسكن النفس إلى قبوله والأخذ به⁴

⁴ التفسير والمفسرون

الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) مكتبة وهبة، القاهرة

الأسئلة

1. خصائص التفسير الرازي
2. التفسير التقليدي
3. عيوب التفسير بالرأي
4. كيف يرد المجوّزون المانعين من التفسير بالرأي

اكتب فقرة عن

1. تنوير المقباس
2. در المنثور
3. تفسير ابن كثير
4. تفسير البيضاوي
5. تفسير الجلالين
6. روح المعاني
7. اكتب مقالة عن الإسرائيليات في التفاسير

الباب الرابع:

المناهج الحديثة في تفسير القرآن

نستطيع أن نُجمل ألوان التفسير في العصر الحديث في الألوان الآتية :
اللّون العلمي والعقلاني واللغوي والبياني والاجتماعي و الأدبي
والموضوعي والمذهبي والنسوي والبيئي والإلحادي وهلم جرا
رواج التفسير العلمي والعقلاني في عصرنا الحاضر:

روح هذا اللون من التفسير أن القرآن كلام الله فلا يخالف لأي حقيقة من الحقائق العلمية المكتشفة في العصر الحديث، طبعاً يحكم العقل بأن الله يجب أن يكون عالماً بمخلوقاته ويستحيل أن يكون جاهلاً بها، فكل ما جاء في القرآن عن نشأة الكون وظواهرها يجب أن يكون موافقاً للحقائق ، فهذه التفسيرات العلمية تصبح عقلانية أيضاً من هذا الاعتبار إلا أن السؤال عن حقيقة ما وصل إليه العلم الآن وعدم تبدله باق أيضاً ، ولكن بعض الناس تكلفوا في اختراع الاكتشافات من القرآن حتى جعلوا القرآن كتاباً علمياً. فالتفسير العقلاني يندرج في التفسير العلمي كما أنه يندرج في التفسير الاجتماعي باعتبار آخر كما سنشير إليه في موضعه.

وإن هذا اللّون من التفسير قد شاع أمره في هذا العصر الحديث، وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية بالعلوم، و بالقرآن الكريم، وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية التي تسلّطت على قلوب أصحابها، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيراً من الكتب يحاول أصحابها فيها أن يُحَمِّلُوا القرآن كل علوم الأرض والسماء، وأن يجعلوه دالاً عليها بطريق التصريح أو التلميح، اعتقاداً منهم - كما قلنا - أن هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه، وإعجازه، وصلاحيته للبقاء.

أهم الكتب التي عنيت بهذا اللّون:

ومن أهم هذه الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية كتاب "كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية، والأرضية، والحيوانات، والنباتات، والجواهر المعدنية"، للإمام الفاضل، والطبيب البارع، محمد بن أحمد الإسكندرانيمن علماء القرن الثالث عشر الهجري، وهو كتاب كبير الحجم، يقع في ثلاثة مجلدات. ومطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة 1297 هـ، ومنه نسخة بدارالكتب المصرية.

ورسالة عبد الله باشا فكرى في مقارنة بعض مباحث الهيئة، بالوارد في النصوص الشرعية، وقد طبعت بالقاهرة سنة 1315 هـ وبين أيدينا كتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" لرجل الإصلاح الإسلامى المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي. وهو عبارة عن

مجموع مقالات له، نشرها في بعض الصحف عندما زار مصر سنة 1318 هـ، وقد طُبع هذا الكتاب وأُبهِم اسم مؤلفه وُرمِز له "الرحالة ك". وفي هذا الكتاب نجد المؤلف ينحاز انحيازاً بليغاً إلى هذا اللّون من ألوان التفسير، فيصف القرآن بأنه "شمس العلوم وكنز الحكّم"، ويقرر بأن السر في إحجام العلماء عن تفسير قسوى الآلاء والأخلاق من القرآن، وبيان ما يشتمل عليه من العلوم المختلفة هو "أنهم كانوا يخافون مخالفة رأى بعض السلف القاصرين في العلم فيكفرون فيقتلون"، ثم يقول: "وهذه مسألة إعجاز القرآن، وهى أهم مسألة في الدين، لم يقدروا أن يوفوها حقها من البحث، واقتصروا على ما قاله بعض السلف أنها هى فصاحته، وبلاغته، وإخباره عن أن الروم من بعد غلّهم سيغلبون". ثم نراه يأخذ في بيان اشتمال القرآن على ما جدّ من نظريات علمية تؤيد إعجاز القرآن، فيقول: "إنه لو أُطلق للعلماء عنان التدقيق وحرية الرأى والتأليف كما أُطلق لأهل التأويل والخرافات، لرأوا في ألوف من آيات القرآن ألوف آيات من الإعجاز.. لرأوا فيه كل يوم آية تتجدد مع الزمان والحدثان، تبرهن على إعجازه بصدق قوله تعالى: {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} .. برهان عيان لا مجرد تسليم وإيمان، ومثال ذلك، أن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة، تُعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا، والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به في القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً، وما بقيت مستورة تحت

غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن، شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه.

وذلك أنهم كشفوا أن مادة الكون هي الأثير، وقد وصف القرآن بدء التكوين فقال: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}..

وكشفوا أن الكائنات في حركة دائمة دائبة، والقرآن يقول: {وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا} إلى أن يقول: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}.

وحققوا أن الأرض منفتحة من النظام الشمسى، والقرآن يقول: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}..

وحققوا أن القمر منشق من الأرض، والقرآن يقول: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا}، ويقول: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}..

وحققوا أن طبقات الأرض سبع والقرآن يقول: {خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}..

وحققوا أنه لولا الجبال لاقضى الثقل النوعى أن تميد الأرض، أى ترتج في دورتها، والقرآن يقول: {وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ}.. وكشفوا أن التغيير في التركيب الكيماوى - بل والمعنوى - ناشىء عن تخالف نسبة المقادير، والقرآن يقول: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}..

وكشفوا أن للجمادات حياة قائمة بماء التبور، والقرآن يقول: {أَوْجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا}..

وحققوا أن العالم العضوى - ومنه الإنسان - ترقى من الجماد،
والقرآن يقول: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ}..

وكشفوا ناموس اللقاح العام فى النبات، والقرآن يقول: {خَلَقَ الْأَزْوَاجَ
كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ}، ويقول: {فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى}،
ويقول: {اهْتَرْتُ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}، ويقول: {وَمِنْ كُلِّ
الشَّمْرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}.

وكشفوا طريقة إمساك الظل - أى التصوير الشمسى - والقرآن
يقول: {الَّذِينَ تَرَى إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ
جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا}..

وكشفوا تسيير السفن والمركبات بالبخر والكهرباء، والقرآن يقول -
بعد ذكره الدواب والجوارى بالريح -: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا
يَرْكَبُونَ}..

وكشفوا وجود الميكروب وتأثيره كالجدري وغيره من المرض، والقرآن
يقول: {وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ}: أى متتابعة مجتمعة {تُرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ}: أى من طين المستنقعات اليابس إلى غير ذلك
من الآيات الكثيرة المحققة لبعض مكتشفات علم الهيئة النواميس
الطبيعية، وبالقياس على ما تقدم ذكره يقتضى أن كثيراً من آياته
سينكشف سرها فى المستقبل فى وقتها المرهون، تجديداً لإعجازه ما
دام الزمان، وما كَرَّ الجديدان".

وبين أيدينا كتاب "إعجاز القرآن" للمرحوم مصطفى صادق الرافعي، وهو من أنصار هذه النزعة التفسيرية ومن المؤيدين لها، وفي هذا الكتاب نجد المؤلف - رحمه الله - يعقد بحثاً خاصاً لموضوع "القرآن والعلوم" وفيه يقرر أن القرآن "بأثاره النامية، معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على بسيط هذه الأرض، من لدن ظهر الإسلام إلى ما شاء الله"، ثم يستطرد إلى ذكر بعض ما نقله السيوطي في الإتقان والإكليل عن العلامة المرسى في اشتمال القرآن على سائر العلوم، وهنا نجده يعلق استخراج علم المواقيت من القرآن فيقول: "قال بعض المتأخرين: إن الميقات مشار إليه في القرآن بقوله تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ}.. قال: فإن عدد {رَفِيعُ} بحساب الجُمَّل ثلاثمائة وستون، وهي عدد درج الليل والنهار". ثم يقول الرافعي نفسه بعد هذا: "وإذا أُطلق حساب الجُمَّل في كلمات القرآن كشف منه كل عجائب العصور، وتواريخها، وأسرارها، ولولا أن هذا خارج عن غرض الكتاب لجئنا منه بأشياء كثيرة من القديم والحديث".

ثم نرى الرافعي - رحمه الله - يسترسل في حديثه إلى أن يقول: "وقد استخراج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع، وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية، وبسطوا كل ذلك بسطاً ليس هو من غرضنا فنسقتصى فيه. على أن هذا ومثله إنما يكون فيه إشارة وملحة، ولعل متحققاً بهذه العلوم الحديثة لوتدبر القرآن، وأحكم النظر فيه، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم، ولا يلتوى عليه أمره، لاستخرج منه إشارات كثيرة تومىء إلى حقائق العلوم وإن لم

تُبسط من أنبائها، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها"، ثم يقول: "وقد أشار القرآن إلى نشأة هذه العلوم وإلى تمحيصها وغايتها على ما وصفناه آنفاً، وذلك قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}، ولو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كلها ما خرجت في معانيها من قوله تعالى: {فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ} هذه آفاق، وهذه آفاق أخرى، فإن لم يكن هذا التعبير من الإعجاز الظاهر بداهة فليس يصح في الأفهام شيء".

كذلك نجد المرحوم الدكتور عبد العزيز إسماعيل، الطبيب المعروف، ينحاز إلى هذا اللون من ألوان التفسير في كتابه "الإسلام والطب الحديث" الذي جمع فيه مقالاته التي نشرها في مجلة الأزهر. وبين أيديها هذا الكتاب، وهو مطبوع بمطبعة الاعتماد سنة 1357هـ، وفيه نجد المؤلف رحمه الله يقرر أن القرآن "ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك، ولكنه يشير أحياناً إلى سُنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم"، كما يكرر أن كثيراً من آيات القرآن "لا يفهم شيئاً من معناها الحقيقي إلا من درس العلوم الحديثة"، كما يؤكد أن العلم الحديث "كشفت عن معنى بعض الآيات، وسينكشف الباقي منها كلما تقدمت العلوم، ثم يأتي وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس إلى الدين".

وأن أعظم علماء العصر الحديث تشيعاً للنزعة التفسيرية العلمية،

وأكثرهم إنتاجاً لهذا التفسير العلمي، هو المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى، إذ أنه على حسب ما رأينا أكثر من جمع في هذا وأطال في تفسيره "الجواهر" الذى يقع في خمسة وعشرين جزءاً كباراً، والمطبوع بمصر سنة (1341 هـ - 1351 هـ) سوف نفضل عن تفسيره قريباً. إن شاء الله

موقف العلماء المسلمين من التفسير العلمي

يقول الأستاذ عباس: أكثر علماء المسلمين لا يرون مانعاً من تفسير القرآن تفسيراً علمياً. فرأيهم أن آيات القرآن فيها من دقائق العلوم ما لا يحصى، ولنضرب مثلاً ببعض هؤلاء.

- فحجة الإسلام الغزالي -رضي الله عنه-، ممن ذهب إلى هذا الرأي ودافع عنه بحزم وقوة، يقول: (إن العلوم كلها، داخله في أفعال الله عز وجل وصفاته. وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته).

وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارات إلى مجامعها. والمقامات في التعمق في تفصيلاتها راجعة إلى فهم القرآن. ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظار، واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، ففي القرآن رموز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفى بذلك ترجمته وتفسير ظاهره) ؟

أما الإمام الرازي فإنه ينعى على ما اعترض عليه لإيراده في تفسير ما أورد. يقول: (وربما جاء بعض الجهال والحمقى، وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم البيئته والنجوم وذلك خلاف المعتاد. فيقال

لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل، لعرفت فساد ما ذكرته .. إن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة، بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم. وذكر هذه الأمور في أكثر السور، وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزًا لما ملأ الله كتابه منها ...)

ويأتي الإمام السيوطي بعد هذين العلمين، في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) بالعجيب مما قاله ونقله عن الفريق الأول، الذين توغلوا في التفسير العلمي إلى حد بعيد.

رأي المانعين:

وعلى العكس من هذا الرأي، نرى إمامًا من أئمة الفكر الإسلامي هو أبو إسحاق الشاطبي يعارض هذا الرأي معارضة شديدة، في كتابه (الموافقات) حيث يقول: (ما تقرر من أمية الشريعة، وأنها جارية على مذاهب أهلها -وهم العرب- ينبني عليه قواعد: منها أن كثيرًا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها. وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح. وإلى هذا فإن السلف الصالح -من الصحابة والتابعين ومن يليهم- كانوا أعرف بالقرآن،

وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى).

وإذا تركنا القدامى إلى المحدثين، فإننا نجد أتباعًا لكل من الفريقين. فممن تأثر برأي الشاطبي المرحوم الشيخ أمين الخولي ووقف مع هذا الرأي وارتضاه الأستاذ الشيخ محمد حسين الذهبي.

ونذكر ممن ارتضى الرأي الأول في التفسير العلمي المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن) والأستاذ عبد الوهاب حمودة رحمه الله، إذ يقول: (والرأي الذي نميل إليه، هو أننا في حاجة شديدة إلى أضواء العلم، تكشف لنا عن حكم وأسرار جاءت بها الآيات الكريمة، ولا ضرر من عدم قصر فهمه على ما كان عند العرب في علمها، ومألوف معارفها، لأن القرآن أنزل للناس كافة، يأخذ منه كل على قدر استعداده وحاجته، ما دام ذلك لا يتنافى مع ما قصه القرآن من الهداية، وما يهدف إليه من الإرشاد. فكم من حكمة فيه إذا ما مستها يد العلم أسفرت أسرارها، فظهرت أنوارها عن سر إعجازها وسحر بيانها ..) ثم يذكر أمثلة عن بعض مدلولات الآيات التي يستعان على فهمها بشتى العلوم حتى يقول: (فالحق أن كل ما يساعد من العلوم على الكشف عن الأسرار الكونية والدلالة على قدرة الصانع الحكيم، والإبانة عن مبلغ آياته ونعمه، ولا يتعارض مع أسلوب اللغة، ومألوف تعبيرها، من غير إغراب ولا تكلف، ولا إغراق في التأويل وإسراف في التحديد، فهو مما يجوز أن

يستخدم في فهم آيات القرآن الكريم، فهو لا تفتى عجائبه ولا تحصى أسرار⁵.

المدرسة اللغوية

يقول د. فضل عباس " اهتم العلماء على مر العصور بالمعاني اللغوية لألفاظ القرآن الكريم، ولذا ظهر الكثير من التفاسير التي تعنى بهذه القضية منها معاني القرآن للفراء، حيث اهتم بضبط الألفاظ القرآنية من خلال حديثه عن القراءات وضبطها وتصحيحها، ومنها كتاب معاني القرآن للأخفش، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للزجاج، وكانت كتب المعاني هذه أساساً لظهور تفاسير لغوية كبيرة منها التفسير البسيط للواحدي، وتفسير الكشاف للزمخشري الذي اهتم بالمسائل اللغوية والتخرجات النحوية اهتماماً واضحاً، ومنها مجمع البيان للطبرسي والبحر المحيط لأبي حيان وهذا الأخير يعد أوسع تفسير.

ويدخل ضمن التفسير اللغوي التفسير البياني الذي يتعلق بتركيب القرآن ولغته من حيث الحقيقة والمجاز والتشبيهات والكنيات والإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير، وقد كانت بذوره ترجع إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وقد كثرت هذه اللفات البيانية في كتب المفسرين، ولو رجعت لكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة وجدته مليئاً بمثل هذه الأمور، وممن عني بهذه القضايا

⁵ التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، الأستاذ الدكتور فضل حسن

عبّاس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن

الجاحظ في كتبه وهو لم يقف عند الدراسات البيانية المعاصرة له فقط، ولكن خطأ بها خطوة كبيرة نحو لم الشعث والتجديد.

وقد نحا نحو الجاحظ ابن قتيبة الذي كان أكثر تنظيماً وترتيباً وتوسعاً، فقد تناول لغة القرآن من حيث هي أداة للتعبير ومن ثم أتبعها ببيان قيمها الجمالية والأدبية، واستشهد للاستعارة بأمثلة كثيرة من القرآن الكريم.

ثم كانت الدراسات الإعجازية التي عنيت بتلك الوجوه البيانية، وكان من أهم تلك الدراسات إعجاز القرآن للواسطي ، والنكت في إعجاز القرآن للرماني، وبيان إعجاز القرآن للخطابي، وإعجاز القرآن للباقلاني، الذي قام فيه بتحليل بعض السور القرآنية، ويرى الدكتور زغلول سلام أن الباقلاني عرض للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، ويرى الدكتور رجب البيومي أن الباقلاني لم يتجه إلى الوحدة الفنية، ويوافق الكاتب البيومي في أن الباقلاني لم يقصد الوحدة الموضوعية في كلّ ما كتب.

ومن هذه الكتب التي عنيت بالإعجاز، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الذي وضع نظرية النظم، هذه النظرية التي لم تكن قبل الجرجاني مجرد ملاحظات، وإنما قامت على دراسات دقيقة واضحة وذلك فيما كتبه الخطابي والباقلاني وعبد الجبار، لكنها لم تتكامل إلا على يد الجرجاني.

وممن عني بالدراسات البيانية الزمخشري في الكشف الذي طبق نظرية الجرجاني، تلك النظرية التي كانت بحاجة إلى ذوق الزمخشري

الأدبي النقدي المرهف وإلى غزارة علمه بأسرار العربية، لأن ذلك التطبيق كان يقوم أساسًا على تحليل التركيب القرآني وبيان خصائصه، ويمثل الكاتب ببعض الأمثلة من تفسير الزمخشري.

وممن عني بالدراسات البيانية الرازي في تفسيره، الذي أدخل شيئًا جديدًا في دراسة الإعجاز القرآني، وهو اهتمامه الواضح بترتيب الآيات وتحليلها وبيان أسباب مجيئها على صورتها والاستدلال على إعجازها، وانصب جلُّ اهتمامه على ترتيب الكلمات بجانب ترتيب الآيات والسور .. إن الرازي يعد مكملًا لما بدأ به الزمخشري والجرجاني، ويرد الكاتب على البيومي الذي يرى أن الرازي قد وضع تفسيره لا ليهتم بنماذج الجمال القرآني، بل ليجعل من العلوم الإسلامية منطقيًا وأصولًا وفلسفة وتوحيدًا وجدلاً، ويرى أن المتصفح لتفسير الرازي يجد غير ما ذكره محمد رجب البيومي.

وفي العصر الحاضر جاء الشيخ محمد عبده بالدعوة إلى تغير مناهج الدراسة والعودة إلى منابع الأولى في فهم الدين والحياة والأدب، وقد جاء ليجدد منهج الشيخ عبد القاهر في النظرية البيانية الجمالية إلى القرآن، وعالج الأنماط البلاغية سواء أكانت في المعاني أم في البيان، ثم تفرع عن مدرسة الإمام محمد عبده اتجاه سمي بالاتجاه الأدبي في تفسير القرآن (سوف نفصل عنه قريبًا) حمل لواءه الشيخ أمين الخولي الذي يرى أن التفسير هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية أكبر وأثرها الأدبي العظيم.

ومن أخطر ما دعا إليه أن العرض القرآني للقصة أدبي لا يرجع إليه في تاريخ ولا يسمى ذلك من نظر أصحابه إليه وتقديرهم إياه بما يشاءون دون الموافقة أو المناقضة بينه وبين حقائق تثبتتها التجربة ويقرها التاريخ القريب المنهج من العلم أو العلمي المنهجي.

وممن عني بالدراسات البيانية في العصر الحاضر الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ في كتابها التفسير البياني، وهي فيما كتبه لا تلزم نفسها باتباع رأي مفسر واحد دائمًا، وإنما تختار الرأي الذي يحقق ذوقها الأدبي في فهم الآية سواء أكان ذلك الرأي للرازي أم للزمخشري أم للأصفهاني أم لغيرهم.

ولم يحصل تطور حقيقي في مجال التفسير البياني في العصر الحديث إلا على يد الأستاذ سيد قطب الذي أصدر التصوير الفني، وسيد قطب لم يبدأ من الفراغ وإنما بدأ من نظرية الجرجاني وطورها إلى رحاب التصوير الفني الشامل، وأكتشف الخصائص العامة لأسلوب التعبير القرآني ساعده ذلك ذوق أبي رفيع وحس شاعري مرهف، وعلم بخصائص نص البيان العربي القديم⁶

الاتجاه الموضوعي في التفسير

الطريقة التي ألفها الناس في التفسير قراءة وتدریسًا وتأليفًا، وهي ما نجده في كتب التفاسير الكثيرة، أن يبدأ بتفسير القرآن آية آية، سورة سورة. والقرآن كما نعلم نزل منجمًا، فربما ينزل الموضوع الواحد منه في أكثر من نجم، حسب ما تقتضيه الضرورة ويتطلبه

⁶ المرجع السابق

الظرف. وهذه هي الطريقة التي اشتهرت عند الناس، وهي تفسير تحليلي يقف به المفسر عند كلّ آية من الآيات. وبالطبع سيتحدث المفسر عن الموضوع الواحد في أكثر من موضع حسب وروده في الآيات الكريمة.

وقد ذكر العلماء للتفسير الموضوعي تعريفات منها:

1 - ما ذكره الكومي: أنّه جمع الآيات القرآنية المتفرقة في سور القرآن والمتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية

2 - وعرفه الفرماوي بما عرفه به الكومي ولكنه توسع في التعريف، حيث قال: (جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، والتي اشتركت في موضوع واحد وترتيبها حسب نزولها، ما أمكن مع الوقوف على أسباب نزولها وتناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي).

3 - وعرفه آخر بأنه (علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر).

وعرفه الدكتور عبد الستار بأنه علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة وبشروط مخصوصة، لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع).

وهذه تعريفات قريبٌ بعضها من بعض، تتحدث عن جمع الآيات القرآنية المتحدثة عن موضوع معيّن⁷.

اللّون الأدبي والاجتماعي في عصرنا الحاضر

يمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللّون الأدبي الاجتماعي، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شَيِّقٍ أَحَادٍ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظْمُ العمران. ومن هذا اللون مدرسة محمد عبده.

وقد عد الدكتور فضل حسن العباس منهج محمد عبده من المدارس العقلية الاجتماعية، وعد هؤلاء المفسرين من أصحاب هذه المدرسة

- 1 - الشيخ محمد عبده.
- 2 - السيد محمد رشيد رضا.
- 3 - الشيخ عبد القادر المغربي.
- 4 - الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي.
- 5 - الشيخ أحمد مصطفى المراغي.
- 6 - الأستاذ الشيخ محمود شلتوت.
- 7 - الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى.

⁷المرجع السابق

مدرسة محمد عبده، وأثرها في التفسير:

أسس هذه المدرسة محمد عبده وسار على نهجه رشيد رضا والمراغي و سيد قطب والمودودي، وهذه المدرسة له تأثير في نشأة التفسير العصري والبيئي والالتعدد الثقافي والنسوي والاحادي، ومن هذا نعلم أن هذه المدرسة لها عيوبها ومساوئها كما أن لها مزاياها ومحاسنها، وهي لا تزال تؤثر على الأمة المسلمة ايجابيا وسلبيا.

محاسن هذه المدرسة:

1. هذه المدرسة وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد
2. لم تغتر هذه المدرسة من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية التي كان لها أثر سيء في تفسير القرآن الكريم!!
3. لم تخض في تعيين ما أبهمه القرآن، ولم تجرأ على الخوض في الكلام عن الأمور الغيبية، التي لا تُعرف إلا من جهة النصوص الشرعية الصحيحة، بل قررت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملًا، ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات،
4. أبعدت التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون، ولم تتناول من ذلك إلا على حسب الضرورة .
5. هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومرامييه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت

مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم

6. جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، ووقفت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريات صحيحة

7. دفعت ما ورد من شُبه على القرآن، وفندت ما أثير حوله من شكوك وأوهام..

عيوب هذه المدرسة:

1. أنها أعطت لعقلها حرية واسعة، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعولذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب. استبعاد صدور العجائب عن إرادة الله وقدرته، لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله وصلابيتها لكل ممكن.

2. فسرت كلام الله بما يقنع عقولهم الناقصة، وجحدت ما نصه القراءان مثل السحروتخبط الشيطان ونحوه

3. حاولت لمسيرة القراءان حسب المفاهيم الحديثة من قبل الغرب ومدارسه وتقدمه العلمي واكتشافاته العلمية كأن قبلتها الغرب، حتى قال رشيد رضا: وَلَوْلَا حِكَايَةُ الْقُرْآنِ لِإِيَاتِ اللَّهِ الَّتِي آيَدَ بِهَا مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَكَانَ إِقْبَالُ أَحْرَارِ الْإِفْرَنْجِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ، وَاهْتِدَاؤُهُمْ بِهِ أَعَمَّ وَأَسْرَعَ ; لِأَنَّ

- أَسَاسَهُ قَدْ بُنِيَ عَلَى الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، وَمُؤَافَقَةَ الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ،
وَتَرْكِيَّةِ أَنْفُسِ الْأَفْرَادِ، وَتَرْقِيَّةِ مَصَالِحِ الْاجْتِمَاعِ⁸
4. حَمَلَتْ هذه المدرسة بعض ألفاظ القرآن من المعانى ما لم يكن معهوداً عند العرب فى زمن نزول القرآن
5. طعنتمهذه المدرسة فى بعض الأحاديث: تارة بالضعف، وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخارى ومسلم، وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم.
6. أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة، فى كل ما هو من قبيل العقائد، أو من قبيل السمعيات، مع أن أحاديث الآحاد فى هذا الباب كثيرة لا يُستهان بها.

المفسرون فى العصر الحديث و مناهجهم و نماذج تفسيرهم

رشيد رضا:

نشأ محمد رشيد رضا فى طرابلس الشام، وفيها تلقى العلم عن شيوخها وعلمائها، وجلس يفيد الناس بعلمه، وفى هذه الأثناء وقع فى يده نسخة من جريدة "العروة الوثقى"، التى كان يقوم بإخراجها والكتابة فيها جمال الدين الأفغانى، وتلميذه محمد عبده، فقرأ رشيد ما فى الجريدة، فأعجب بالرجلين ، ورجب فى الاتصال بجمال الدين الأفغانى فلم يسعده الحظ، ثم اتصل بخليفته محمد

⁸رشيد رضا، تفسير المنار

عبده، في رجب سنة 1315 هـ وكان أول اقتراح عرضه عليه، أن يكتب تفسيراً للقرآن على نهج ما كان يكتب في جريدة "العورة الوثقى". كان رشيد هو الوارث الأول لعلم أستاذه ، إذ أنه أخذ عنه فوعى ما أخذ، وألّف في حياته وبعد وفاته، فكان لا يحيد عن منهجه أو ينحرف عن أفكاره. وليس غريباً ما يرويه رشيد رضا من أن الأستاذ كان يقول: "صاحب المنار ترجمان أفكارى". كما أنه ليس غريباً ما يُحدّث به أحد تلاميذ الشيخ رشيد، من أن الأستاذ وصف الشيخ رشيد بأنه "متحد معه في العقيدة، والفكر، والرأى، والخُلُق. والعمل".

إنتاج رشيد رضا في التفسير:

تفسيره مطبوع في اثني عشر مجلداً كباراً، ينتهى المجلد الثانى عشر عند قوله تعالى في الآية [53] من سورة يوسف: {وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي؟}... الآية.

وقد أكمل الأستاذ بهجة البيطار تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد. وقد فسّر من القصص: سورة الكوثر، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين، ولا نعرف له إنتاجاً في التفسير أكثر من هذا.

مصادره في التفسير:

أما مصادره في التفسير فإنه كان يستعين ببعض آيات القرآن على فهم بعض آخر منه، خصوصاً إذا تكررت الآيات في موضوع

واحد، وكان يستعين أيضاً بما صح عنده من بيان رسول الله ﷺ ،
وبما جرى عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وبأساليب لغة
العرب وسنن الله في خلقه، ومستعيناً بعد ذلك كله بعقله المتحرر
من التقليد للمفسرين، إلا فيما يقتنع به من أقوالهم، وأقوال شيخه
على الأخص.

هدفه من التفسير:

يُصَرِّح بما صرح به أستاذه بأن هدفه من التفسير هو "فهم
الكاتب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم
الدنيا وحياتهم الآخرة". ويقول: "إن حاجة الناس صارت شديدة إلى
تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذى
يتفق مع الآيات الكريمة، المنزلة في وصفه. وما أنزل لأجله، من
الإنذار، والتبشير والهداية، والإصلاح".

منهجه في التفسير:

وأما منهجه فيه فهو عَيْن ما نهجه أستاذه، فلا يقلد أقوال المفسرين،
لا يخوض في الإسرائيليات، ولا يعين للمهمات، يشرح الآيات بأسلوب
بديع، ويكشف عن المعانى بعبارة سهلة ، ويوضح لمشكلات القرآن،
ويدافع عنه يرد ما أثير حوله من شبهات ..

ولكننا نجد شيد رضا يحيد عن هذا المنهج بعض الشيء، وذلك بعد
وفاة شيخه، واستقلاله بالعمل، ويُحدِّثنا هو بذلك فيقول:

"وإننى لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه - رحمه الله تعالى - بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السُّنَّة الصحيحة، سواء أكان تفسيراً لها، أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللُّغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها. بما يطمئن به القلب، وتسكن إليه النفس".

ويبدو لنا أن هذا التوسع الذي كان من الشيخ رشيد - خصوصاً في المسائل الاجتماعية -، لم يدفعه إليه إلا كونه رجلاً "صحفياً" اتصل عن طريق مجلته بالناس على اختلاف منازعهم ومشاربهم، وفهم المتدين، والملحد. والكافر، فأراد أن يتمشى بكتابته مع الجميع، فيثبت المتدين على دينه، ويرد الملحد عن إحداه، ويكشف عن محاسن الإسلام، لعل الكافر أن يثوب إلى رشده ويرجع عن كفره.

الاعتراضات عليه

على الرغم من براعة لغته وشدة رغبته في الدفاع عن الإسلام والمسلمين حدث منه ما يخالفه من إنكار الأخاديث الصحيحة وتأويل الآيات عن ظواهرها وتحقير المعجزات المادية. وكان حريصاً على مساندة الأمة المسلمة وكتابهم مع مفاهيم الغرب الذي أعجب

باكتشافاته وثقافته. وهو الذي قال في تفسيره وَلَوْلَا حِكَايَةُ الْقُرْآنِ
لآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي آيَدَ بِهَا مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَكَانَ إِقْبَالُ أَحْزَابِ
الْإِفْرَنْجِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ، وَاهْتِدَاؤُهُمْ بِهِ أَعَمَّ وَأَسْرَعَ ; لِأَنَّ أَسَاسَهُ قَدْ بُنِيَ
عَلَى الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، وَمُوَافَقَةِ الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَتَرْكِيَةِ أَنْفُسِ الْأَفْرَادِ،
وَتَرْقِيَةِ مَصَالِحِ الْاجْتِمَاعِ⁹

يقول مشاري سعيد المطرفي فيما اعترض عليه من آراءه.

"أولاً: عنفه على مخالفه

لعل من أكثر المآخذ على تفسير المنار ومؤلفه رشيد رضا هو عنفه على
مخالفه وشدته عليهم، ونيزهم بأبشع الألقاب واتهامه العلماء تارة
بالتقليد وتارة بعدم الفهم وتقليله من شأنهم ومكانتهم، ووصفهم
بأسوء الأوصاف. مثال ذلك تشنيعه على الرازي في تفسيره: «أجعل
لنا إلهها كما لهم إلهة»، فيقول «إن هذا الذي قاله الرازي من أظهر
هفواته الكثيرة بطلاناً، وسببه امتلاء دماغه عفا الله عنه بنظريات
الكلام و وجدل الاصطلاحات الحادثة، وغفلته عن معنى الإله في
أصل اللغة».

ثانياً: كثرة الاستطرادات:

كثرة الاستطرادات والتفريعات من المآخذ التي التي تحسب على
تفسير المنار ولذا رأيناه ينصح القارئ في مقدمة تفسيره بمطالعة هذه
الفصول الاستطرادية في غير وقت قراءته التفسير، ولكن هذا قد

⁹رشيد رضا، تفسير المنار

يكون صعباً على القارئ من الناحيتين الموضوعية والنفسية، إذ لا نتصور قارئاً ما يسهل عليه أن يقرأ تفسير بعض آية ثم يترك الاستطرادات التي قد يكون لها تعلق بتفسير الآية ولو من بعيد، ولعل من أبرز تلك الاستطرادات والتفريعات الكثيرة. تفسيره لمطلع سورة يونس حيث كتب فصولاً عند تفسير قوله تعالى " أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم "تزيد على مائة وخمسين صفحة وهي التي جردت فيما بعد فكانت كتاب «الوحي المحمدي».

ثالثاً: مخالفته جمهور المفسرين في تفسير بعض الآيات :

فقد كان لرشيد رضا في تفسيره آراء وأقوال خالف فيها آراء جمهور المفسرين، وقد كانت له آراء أيضاً لم يسبقه بالقول فيها أحد. مثال ذلك مخالفته جمهور المفسرين في آية الوصية، وهي قولها تعالى: « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين (١٨)

فجمهور المفسرين على أنها منسوخة، ويرى رشيد رضا أنها غير منسوخة، ثم يحاول بعد ذلك أن يضعف حديث «لا وصية لوارث»، بحجة أن الشيخين لم يروياه مسنداً لعدم ثقتهما به، وأن البخاري قد رواه مرفوعاً عن ابن عباس

ولا شك أن الصحيح هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين بأن الآية منسوخة وأن حديث: «إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية

لوارث» حديث صحيح تلقته الأمة بالقبول" ¹⁰

رابعاً: يقول المطرفي ناقداً أراءه "يرى الشيخ رشيد رضا أن الأحاديث الواردة في أشراط الساعة الكبرى بالأحاديث الواردة في خروج المسيح الدجال والأحاديث الواردة في المهدي والأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام والأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها أنها من الأحاديث المشككة، وأن فيها الكثير من التعارض والتناقض والاختلاف فيما بينهما. - وأن فيها مخالفة للعقل والحس والسنن الكونية والإلهية مما يوجب ردها وعدم اعتقاد صحتها وعدم الإيمان بها.

جميع ما ذكره من إشكالات أو تساؤلات لا قيمة لها أمام تلك الأحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة التي لا يسع المسلم إلا أن يؤمن ويصدق بها تصديقاً جازماً... فالواجب على كل مسلم هو الإيمان والتسليم بما ثبت بتلك الأحاديث الصحيحة الصريحة وعدم ردها ودفعها بتساؤلات لا قيمة لها ولا وزن ولا حجة أمام نص نبوي صحيح ثبت لدينا بأصح الأسانيد.."¹¹

الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي

ولد الشيخ طنطاوي الجوهري الملقب بحكيم الإسلام سنة

¹⁰أراء محمد رشيد رضا العقائدية في أشراط الساعة وآثرها الفكرية، مشاري سعيد المطرفي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت

ص 156

¹¹نفس المرجع ص 164

1870 بكَفَّرَ عوض الله، ونشأ به، وكان يشتغل بالأعمال الزراعية، وتلقى تعليمه الأولى في (الغار) بلد جدته لأمه، وكان مشهوراً بجودة الحفظ والذكاء المفرد، تلقى العلم في الأزهر، فدار العلوم وتخرج منها سنة 1893، ثم عين بعد تخريجه مدرساً بدمهور، فدار العلوم، ثم الخديوية، ودرس بالجامعة المصرية، تعلم اللغة الإنجليزية وهو مدرس بالخديوية، وانتفع بها كثيراً، في تأليفه، كان عالماً أديباً فيلسوفاً، ترك من المؤلفات عدداً كبيراً من الكتب القيمة، وكان عمله لا ينحصر في دائرة محدودة، بل كنت تراه في درسه كالقاموس، وقد طلب للقضاء فلم يقبل، كان رئيساً لجمعية المواساة الإسلامية بالقاهرة، وتولى رئاسة تحرير مجلة (الإخوان المسلمين) مدة، عاش نحو سبعين عاماً صحيح الجسم معافي البدن، قوي الذاكرة، مشرق المحيا، بفضل ما اختط من نظام صحي خاص بعد إحالته على المعاش.

خلق الفيلسوف الإسلامي المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى - كما يقول هو عن نفسه :- "مغرمًا بالعجائب الكونية معجباً بالبدايع الطبيعية، مشوقاً إلى ما في السماء من جمال، وما في الأرض من بهاء وكمال"، ثم كان منه - كما يقول - أنه لما تأمل الأمة الإسلامية وتعاليمها الدينية، ألقى أكثر العقلاء وبعض أجلة العلماء عن تلك المعانى معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم مَن فَكَّرَ في خلق العوالم وما أُودع فيها من الغرائب، فدفعه ذلك إلى أن أَلَّفَ كتباً كثيرة مزج فيها الآيات القرآنية بالعجائب

الكونية، وجعل آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع، وحكم الخلق، وكان من أهم هذه الكتب كتاب "نظام العالم والأمم" و "جواهر العلوم" و "التاج المرصع" و "جمال العالم" و "النظام والإسلام" و "الأمة وحياتها" ولكنه وجد أن هذه الكتب - رغم كثرتها، وانتشارها، وترجمتها إلى اللغات الأجنبية - لم تشف غليله، فتوجّه إلى ذى العِزّة والجلال، أن يوفقه إلى أن يُفسّر القرآن تفسيراً ينطوى على كل ما وصل إليه البشر من علوم، فاستجاب الله دعاءه، وتم له ما أراد.

متى وكيف شرع المؤلف في كتابة هذا التفسير؟

ابتدأ المؤلف هذا التفسير أيام أن كان مدرساً بمدرسة دار العلوم، فكان يلقي تفسير بعض آيات على طلبتها. وبعضها كان يكتب في مجلة الملاهي العباسية، ثم وإلى سيره في التفسير حتى أخرج لنا هذه الموسوعة الكبيرة.

غرض المؤلف من تفسيره:

ولقد أمل المؤلف - رحمه الله - من وراء هذا التفسير - كما يقول - "أن يشرح الله به قلوباً، ويهدي به أُمماً، وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين، فيفهموا العلوم الكونية"، وقال: "وإني لعلی رجاء أن يؤيد الله هذه الأمة بهذا الدين، وينسج على منوال هذا التفسير المسلمون، وليُقرَّانَ في مشارق الأرض ومغاربها مقروناً بالقبول، وليولعن بالعجائب السماوية والبدائع الأرضية الشبان الموحّدون، وليرفعن الله مدنيّتهم إلى العلا، وليكونن داعياً حثيثاً إلى

درس العوالم العلوية والسفلية، وليقومون من هذه الأمة مَنْ يفوقون الفرنجة في الزراعة، والطب، والمعادن، والحساب، والهندسة، والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات".

مسلك المؤلف في تفسيره:

ولقد وضع المؤلف في تفسيره هذا ما يحتاجه المسلم من الأحكام، والأخلاق، وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق، مما يَشَوِّق المسلمين والمسلمات - كما يقول - إلى الوقوف على حقائق معانى الآيات البيِّنات في الحيوان والنبات، والأرض والسموات.

هذا .. وإن المؤلف - رحمه الله - ليقرر في تفسيره أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية، كما يقرر " أن الإسلام جاء لأُمم كثيرة، وأن سور القرآن متممات لأُمور أظهرها العلم الحديث".

وكثيراً ما نجد المؤلف - رحمه الله - في تفسيره يهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، ويحثهم على العمل بما فيها، ويندد بمن يُغفل هذه الآيات على كثرتها، وينعى على مَنْ أغفلها من السابقين الأوّلين، ووقف عند آيات الأحكام وغيرها مما يتعلق بأُمور العقيدة.

نجد المؤلف يكرر هذه النغمة في كثير من مواضع الكتاب حتى أصبح

تكرارا مملا فيقول في موضع منه: "يا أمة الإسلام؛ آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور نور الإسلام، هذا زمان رقيه، يا ليت شعري .. لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله أباؤنا في آيات الميراث؟ ولكني أقول: الحمد لله ... الحمد لله، إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للزيادة في معرفة الله وهي فرض عَيْن على كل قادر... إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن، هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام، فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم".

طريقة المؤلف في هذا التفسير:

يفسر الآيات القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً، لا يكاد يخرج عما في كتب التفسير المألوفة لنا والمتداولة بين أيدينا، ولكنه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذي يسميه لفظياً، ويدخل في أبحاث علمية مستفيضة يسميها هو "لطائف" أو "جواهر".. هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة كبيرة من أفكار علماء الشرق والغرب في العصر الحديث، أتى بها المؤلف، ليبين للمسلمين ولغير المسلمين أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث ونبّه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بقرون متطاولة.

و يضع لنا في تفسيره هذا كثيراً من صور النباتات، والحيوانات، ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم، بقصد أن يوضح للقارئ ما يقول توضيحاً يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس.

كذلك نجد المؤلف - رحمه الله - يستشهد أحياناً على ما يقول بما جاء في الإنجيل، واعتماده فيما ينقل على إنجيل "برنابا" لأنه - كما يرى - أصح الأناجيل.

وكثيراً ما نرى المؤلف - رحمه الله - يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم، وهو حين ينقلها يُبدي لنا رضاه عنها، وتصديقه بها، مع أنها تخالف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما أنه يستخرج كثيراً من علوم القرآن بواسطة حساب الجُمَّل الذي لا نُصدِّق أنه يوصل إلى حقيقة ثابتة.

الشيخ محمد مصطفى المراغى

الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق، وقاضى قضاة السودان الأسبق، ولد رحمه الله تعالى بقريّة «المراغة» سنة 1298 هـ- وذلك يوافق سنة 1881 م، واخذ يتعلم القرآن وشيئا من العربية في قريته، ولما استأهل لأن ينتسب الى الأزهر سافر الى مصر والتحق بالأزهر.

وأظهر نبوغا وذكاء وجدا في التحصيل والدرس ولازم دروس الاستاذ

محمد عبده، ونهل من معينه، وهو يعد من مدرسته.

ونال شهادة العالمية في سنة 1904 على حداثة سنه، وفي السنة نفسها عين قاضيا في السودان في بلدة «دنقلة» واخذ ينتقل في مناصب القضاء في السودان حتى عين قاضي قضاة السودان.

وقد ظل الشيخ في منصب قاضي القضاة حتى سنة 1919 ثم جاء الى مصر وعين في سنة 1920 رئيسا للمحكمة الشرعية العليا. وفي مايو سنة 1928 عين شيخا للازهر، عين وسنه ثمانية واربعون عاما فكان اصغر شيخ عين شيخا للازهر.

واستمر به -الا في ست سنوات- حتى وافاه القدر المحتوم في رمضان سنة 1364 هـ.

والتفسير الذي نعينه هنا ليس تفسيرا متكاملا، وانما هو تفسير السور اولاجزاء من بعض السور، ونشر عدة مرات في الأزهر، وفي أحد اعداد كتاب الهلال.

الأستاذ المراغي في مدرسة الشيخ محمد عبده: تربى هذا الرجل في مدرسته ، لم يلزم الشيخ المراغي أستاذه ملازمة طويلة كما لازمه الشيخ رشيد، ولم يجلس إليه كثيراً مثلما جلس، ولكنه كان على رغم ذلك أعمق أثراً وأكثر تحقيقاً لما تهدف إليه هذه المدرسة

والسر في ذلك - كما يظهر لنا - هو تعلق الشيخ في مختلف المناصب الدينية الكبيرة، ثم ما كان فيه من جاذبية وقدرة على استجلاب

قلوب سامعيه واستمالتها إليه، مما أجلس بين يديه الملك، والأمير،
والوزير، والشيخ الكبير، والطالب الصغير، ورجل الشارع.

جلس هؤلاء جميعاً يستمعون إليه ويأخذون عنه، فكان الميدان
فسيحاً أمام الشيخ، يلقي فيه بآرائه وأفكاره، فتجد الدعوى قبولاً
من مستمعيه، ورواجاً عند مريديه .. ثم لا تلبث أن تنتشر فتعم كل
شئ.

منهجه في التفسير:

يتتبع الإنسان إنتاج أستاذه في التفسير، ويستقصى ما عرض له من
آيات القرآن الكريم، كان يختار لدروسه من آيات القرآن ما تتجلى
فيه دلائل قدرة الله وآيات عظمته، وما تظهر فيه وسائل هداية
البشر، ومواضع العظة والعبرة، ووجه جانباً كبيراً من عنايته إلى
الآيات التي يجمعها وقضايا العلم الحديث صلة القربى، ليظهر للناس
أن القرآن لا يقف في سبيل العلم، ولا يصادم ما صح من قواعده
ونظرياته

حرية الرأي في تفسيره:

ثم إن الشيخ المراغى كان كغيره من رجال هذه المدرسة لا يتقيد
بأقوال الأئمة، ولا يقف عند مذهب مخصوص، ولا يقول برأى معين
إلا إذا اقتنع به، وإلا فلا عليه أن يتركه إلى ما هو صواب في نظره.

فمثلاً عندما تعرّض لقوله تعالى في الآية [184] من سورة البقرة: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} نجده يخالف علماء الفقه في السفر المبيح للفطر حيث يجوز في كل سفر على الإطلاق متمسكا على ظاهر القرآن، ومعرضا عما جاء في الأحاديث وأقوال علماء الأمة . خفي عليه أن السفر في الإسلام له اصطلاح خاص يأخذ مما صح أخيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في ظلال القرآن:

ولد السيد بن الحاج قطب بن إبراهيم في قرية من قرى الصعيد تتبع محافظة أسيوط اسمها "موشة" التي قدم إليها جده الخامس من الهند. وكانت ولادته سنة 1906م حيث نشأ في أسرة ليست عظيمة الثراء ، وكان والده مضيافا ولذا كان له مكانة مرموقة بين أهل القرية. مؤلفاته كثيرة مشهورة ومعروفة نذكر ما يتعلق منها بالقرآن الكريم، وهي ثلاثة:

1- التصوير الفني في القرآن.

2- مشاهد القيام في القرآن.

3- في ظلال القرآن.

منهجه في التفسير:

الأسلوب الأدبي

كان ذا موهبة أدبية رائعة وأسلوب أدبيّ سام. وقد انفرد بهذا الأسلوب من بين كثير من المفسرين في القديم وفي الحديث،

الواقعية الحركية

اكتشف المنهج الحركي للقرآن الكريم، فالتزمه في الأجزاء الأربعة الأخيرة ورأى أنه لا بد من إعادة النظر فيما كتب، وأن ينطلق في ذلك من إدراكه الجديد وقد كان له ذلك من الجزء الأول إلى نهاية الجزء الثالث عشر وأوائل الرابع عشر،

الوحدة الموضوعية

قسم السورة الواحدة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة منها بدرس مستقل، ولم ينقص هذا من منزلة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بل اهتم بها اهتماما واضحا في شتى جوانبها وأشكالها حتى عدّه الدكتور عدنان زرزور "أول مفسر في تاريخ القرآن الكريم أبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت!

ونستطيع أن نستخلص الأقسام التالية للوحدة الموضوعية

- 1- التناسب بين السورة والسورة التالية لها.
- 2- التناسب بين دروس السورة الواحدة حسب تقسيماته، رحمه الله تعالى.
- 3- التناسب بين مقاطع الدرس الواحد من السورة.

- 4- التناسب بين آيات المقطع الواحد.
5- التناسب بين كلمات الآية الواحدة والجمل فيها.
تلك الأقسام ما هي إلا معالم لوجود الوحدة الموضوعية في تفسير سيد قطب رحمه الله

ترك الإطناب عما أهتم في القرآن الكريم

أعرض عن الخوض فيما أهتمه القرآن الكريم، ولم يرد بيانه في السنة، وكان هذا من منهجه. فقال في تفسيره لقوله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}:"وقد جرينا في هذه الظلال على قاعدة ألا نتزيد بشيء في أمر الغيبيات التي يقص الله علينا طرف من خبرها، وأن نقف عند حدود النص القرآني لا نتعداه.. هو كافٍ بذاته لإثبات ما يعرض له من أمور فنحن نؤمن أن هناك خلقا اسمهم الشياطين، وردت بعض صفاتهم في القرآن، وسبقت الإشارة إليها في هذه الظلال، ولا نزيد عليها شيئا ونحن نؤمن أن الله جعل من هذه المصابيح التي تزين السماء الدنيا رجوما للشياطين في صورة شهب كما جاء في سور أخرى {وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ} ، {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} 3 كيف؟ من أي حجم؟ في أي صورة؟ كل ذلك لم يقل لنا الله عنه شيئا،

التحذير من الإسرائيليات

ومثل موقفه ذلك كان موقفه من الإسرائيليات؛ كان يرفض إيرادها

في التفسير ويحذر منها ويعدها أساطير لا سند لها صحيح. قال في قوله سبحانه: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} 1: "وتتفرق الأقوال حول فوران التنور، ويذهب الخيال ببعضها بعيدا وتبدو رائحة الإسرائيليات فيها وفي قصة الطوفان كلها واضحة. أما نحن فلا نضرب في متاهة بغير دليل في هذا الغيب الذي لا نعلم منه إلا ما يقدمه لنا النص، وفي حدود مدلوله بلا زيادة

ترك الاختلافات الفقهية

فلم يقلب رحمه الله تعالى كتابه إلى كتاب في الفقه بل كان يحيل في المسائل الفرعية إلى كتب الفقه وأنه لا مجال لإيرادها في الظلال.

فقال عن آيات المواريث في سورة النساء مثلا: "هذه الآيات الثلاث تتضمن أصول علم الفرائض أي علم الميراث أما التفريعات فقد جاءت السنة ببعضها نصا، واجتهد الفقهاء في بقيتها على هذه الأصول. وليس هنا مجال الدخول في هذه التفريعات والتطبيقات، فمكانها كتب الفقه، فنكتفي في ظلال القرآن بتفسير هذه النصوص والتعقيب على ما تتضمنه من أصول المنهج الإسلامي.

وفي قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ} أجمل الحديث عن أحكامها ولم يتوسع في بيانه ثم قال: "والتفصيل يطلب في كتب الفقه المختصة"

اجتناب الإغراق في المسائل اللغوية

عندما أصدر سيد قطب رحمه الله تعالى كتابه "مشاهد القيامة في القرآن" قال في مقدمته عن القرآن الكريم: "والقرآن: هذا الكتاب المعجز الجميل هو أنفس ما تحويه المكتبة العربية على الإطلاق فلا أقل من أن يعاد عرضه، وأن ترد إليه جدته، وأن يستنقذ من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضا"

التفسير الجمالي الفني

وصف الجمال الفني الصادق بأنه "الذي لا يعتمد على الخلق والتزييق ولكن يعتمد على إبداع العرض وقوة الحق وجمال الأداء".

فإن منزلة الجمال في القرآن تالية لمنزلة الكمال "فالجمال في تصميم هذا الكون مقصود كالكمال. بل إنهما اعتباران لحقيقة واحدة. فالكمال يبلغ درجة الجمال. ومن ثم يوجه القرآن النظر إلى جمال السماوات بعد أن وجه النظر إلى كمالها" {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ، وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ}.

وقد عني سيد قطب بالعرض الجمالي الفني في القرآن الكريم فتوقف عند الجمال الفني في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ

وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ { 2 حيث قال:

"إنها لفئة كونية عجيبة من اللفات الدالة على مصدر هذا الكتاب. لفئة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها. في الثمرات، وفي الجبال، وفي الناس وفي الدواب والأنعام. لفئة تجمع في كلمات قلائل بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا، وتدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعا.

وتبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المختلفة الألوان، ولأن المعرض معرض أصباغ وشيات فإنه لا يذكرهنا من الثمرات إلا ألوانها: {فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا} وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر. بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد، فعند التدقيق في أي ثمرتين أختين يبدو شيء من اختلاف اللون!

وينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها، ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية. ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددتها، بل إن فيها أحيانا ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها كذلك حتى ما تكاد تفرق من الثمار صغيرها وكبيرها!

الاعتراضات عليه

كان سيد قطب رائداً للإخوان المسلمين التي لم يرض بطرقها ومنهجها أكثر أهل السنة والجماعة والحركات السلفية وكان السيد قطب مستقلاً في تفسيره وآراءه معرضاً عن تفاسير السابقين، مبتعداً عن مناهجهم. ننقل هنا بعض العبارات التي جلبت الانتقاد من العلماء.

1. "إن المسلمين اليوم لا يجاهدون، ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون" أن هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم"

2. ومنها ما قال متحدثاً عن القرآن: "والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس"¹²

3. وقال بعد أن تكلم عن الحروف المقطعة: "ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها مثل هذا الكتاب، لأنه من صنع الله لا من صنع إنسان"¹³.

4. ومنها ما قال في حق نبي الله موسى عليه السلام "لنأخذ موسى إنه مثال للزعيم المنذفع العصبي المزاج....."¹⁴.

¹² في ظلال القرآن (1/38)

¹³ في ظلال القرآن (5/2719)

¹⁴ التصوير الفني في القرآن

5. "و حين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك على أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح"¹⁵!

6. ومنها تعبيره لأيات القرءان بالموسقي حيث قال في الضلال " هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية منغمة يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة16. "

التفسير في الهند

أبو الكلام آزاد

محيي الدين أحمد بن خير الدين المشهور بلقب أبو الكلام آزاد، ولد في مكة في 11 نوفمبر 1888 م (1306 هـ) وتوفي في دلهي في 22 فبراير 1958 م (3 شعبان 1377 هـ). كان عالماً مسلماً وزعيماً سياسياً رفيع المستوى في حركة الاستقلال الهندية. وكان أحد أهم الزعماء المسلمين المؤيدين للوحدة الهندوسية-الإسلامية، والمعارضين لتقسيم الهند على أساس طائفي. وبعد استقلال الهند، أصبح أول وزير

¹⁵كتب وشخصيات [ص/242-243
16ظلال القرآن" (الطبعة 25 عام 1417 هـ) عند تفسيره لسورة النجم (6/3404):

للتعليم في الحكومة الهندية. ويذكره الناس بكنيته مولانا آزاد؛ التي اتخذها لكونه خطيباً بارعاً أما كلمة آزاد فتعني في اللغة الأردية "الحُر" صار فيما بعد صاحب الإمامتين- كما كان يدعى في الهند- إمامة في الدين، وإمامة في السياسة، حين قاد حركة التحرير في أشد أوقاتها أثناء الحرب العالمية الثانية، وتولى المفاوضات مع الانجليز، باسم الهند والحزب الوطني، الذي كان يرأسه طوال مدة الحرب .. ومع أن «أزاد» زار تركيا ومصر وبلاداً عربية أخرى فعاد متأثراً بمدرسة العبدوية، حتى ألف جماعة هناك، على نسق تلك المدرسة، فأصدر مجلتيْن: الهلال ثم البلاغ، لتقوموا بهذه المهمة، وكان ينشر فيها تفسيراً للقرآن على النسق الذي تشيع به، بجوار مقالاته الأخرى .. وبدأً بالهلال في 12 يونيو 1912 م- 1330 هـ ثم لما صودرت، أصدر «البلاغ» فصادرها الانجليز ..

يقول علامة الهند السيد سليمان الندوي: «لا شك أن مجلتي الهلال والبلاغ لأبي الكلام آزاد، قد كونتا الذوق القرآني لدى الشبان المسلمين، وفتحتا نوافذ جديدة أمام الجيل الجديد، وعرضتا آيات القرآنية بأسلوب بلاغي، يتسم بالحكمة، وجودة الصناعة، مما أنار القلوب بنور الإيمان واليقين، وكشفتا معاني القرآن وسمو قول الرحمن»

«اتجاهه لكتابة تفسير»

وحين لمس «أزاد» إقبال المسلمين على التفسير في المجلة اتجه إلى كتابته ونشره في كتاب، وكان عبارة عن ترجمة محكمة سهلة العبارة الأوردية، ثم تفسير بعض ما يحتاج لتفسير على الهامش .. بحيث تكون الترجمة حاوية على المعنى الذي يريد إيصاله للقراء دون توقف .. أما التفسير فعلى الهامش لمن أراد زيادة وتوسعا ..

وقد تعطل هذا المشروع بسبب اعتقال السلطة الانجليزية لمولانا أزاد مرات وتبديدها لمسودات ترجمته وتفسيره، وبين تأرجح العمل بين القلة والكثرة سار العمل شوطا كبيرا ..

وقد نشر من ترجمته وتفسيره إلى سورة النور .. وجاءت الفاتحة في الطبعة الأخيرة في مجلد خاص يضم أكثر من خمسمائة صفحة باللغة الأوردية.

منهجه

كان منهجه ومشربه في التفسير هو منهج محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا، حتى إنه اعتمد على القرآن كما قلنا في إثارة المسلمين أكثر وأكثر لمحاربة المستعمر، ومقاطعته في كل شيء، مما اعتنقه غاندى بعد ذلك، وسماه بما ترجمناه «حركة العصيان المدني» حين انضم الهندوس للمسلمين في حركة المقاطعة متأخرا ..

وقد كتب مقدمة لترجمته وتفسيره سماها «التفسير والمفسرون» اشتملت على نظرتة للتفاسير السابقة، وكيف حجبت عن المسلمين هداية القرآن،-على ما ادعاه- بمباحثها اللفظية، وأخبارها الإسرائيلية، ومناقشاتهما الفقهية والكلامية وبالعلوم اليونانية .. وهى تماما مثل نظرة الإمام محمد عبده .. وتكلم عن التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى، ووضح المراد من «الرأى»، كما وضح هدفه من عمله.

وكتب هذه المقدمة وهو فى سجن «ميرت» شمال دهلى فى 16 نوفمبر سنة 1930 م

وقد دعا لتأليف جماعة تسمى «جماعة القرآن» - على نسق «جماعة الانجيل» - لخدمة القرآن، طباعة، وتفسيرا، وترجمة إلى اللغات المختلفة، لتنتشر دعوة الاسلام فى العالم، ولكن ذلك لم يتحقق .. حتى توفى فى فبراير سنة 1958 دون أن يتم التفسير الذى أراده ... وكان فى شوق شديد لإتمامه، لكنه لم يجد الفراغ الكافى ..

وله بحث دقيق بالشواهد والأدلة التاريخية والأثرية حول ذى القرنين ذكره بمناسبة تفسيره لقصة ذى القرنين فى سورة الكهف .. يعتبر من أدق وأصح ما كتب حتى الآن عن شخصية ذى القرنين، وهو الامبراطور «غورش» أو «قورش» الايرانى مؤسس أول امبراطورية ايرانية، احتفل شاه إيران السابق بمرور 25 قرنا على تأسيسها منذ عدة سنين

تفهيم القرءان لأبى الأعلى المودودي:

(1321 - 1399 هـ / 1903 - 1979 م)،

وُلد أبو الأعلى المودودي بمدينة أورنك أباد في ولاية حيدرآباد بالهند، لم يعلّمه أبوه في المدارس الإنكليزية، واكتفى بتعليمه في البيت، وكان أبوه هو معلمه الأول.

عمل بالصحافة، بعد وفاة والده، وتولى منصب رئاسة تحرير جريدة "تاج" الصادرة في جبل بور، وجريدة "مسلم"، وجريدة "الجمعية" الصادرة في دلهي، ومجلته الخاصة "ترجمان القرآن" التي بدأ صدورها سنة 1923 م، وهي تعدّ من أكبر المجلات الإسلامية في العالم. أسس المودودي حركته الجماعة الإسلامية في لاهور، وتم انتخابه أميرًا لها في (3 من شعبان 1360 هـ/ 26 أغسطس 1941 م).

منهجه في التفسير

وقبل البدء بالتفسير يعطي فكرة مجملة عن السورة: اسمها، فترة نزولها، موضوعاتها،

يقسم آيات السورة الكريمة إلى مجموعات، ويذكر المعنى الإجمالي بإيجاز لكل مجموعة،

يبين البحث الرئيس للسورة

بعد هذه المقدمات الموجزة يبدأ بتفسير الآيات،

تفسيره سهل ميسر واضح التراكيب،

لغته عصرية، وألفاظه مستمدة من الواقع،

فكان دائماً يربط بين هذا الغرض وبين تفسير الآيات،
لا يُعنى كثيراً ببيان معنى الآيات بشكل تفصيلي، أو بيان المفردات
الغريبة إلا قليلاً،

ولا يقف كثيراً على أوجه البلاغة والنحو،

يحاول على إنزال الآيات على الواقع حسب نظره

يقل في بيان المسائل البلاغية ولكن لم يهملها تماماً،

وحين ينبه على المسائل البلاغية فبأسلوب جميل غير جاف مثلاً عند
قوله تعالى: {وَلْتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} [البقرة: 96] بين
الفائدة من تنكير كلمة {حَيَاةٍ}، حيث قال: "كلمة {حَيَاةٍ} المستخدمة
هنا تنكيراً تعني أنهم يعيشون الحياة دون اكتراث بنوعها، فلا يعينهم
إن كانت تقوم على الفضل والشرف أم على الخزي والعار"

موقفه من المسائل العقدية:

لم يكن له كبير عناية ببيان الخلافات العقدية، ولكن ظهرت سمات
اعتقاده من بعض المواضع على ندرتها، فهو ضد عقيدة الجبر، وقد
ظهر هذا من تعقيبه على قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [البقرة:
7]، حيث قال: "هذا لا يعني أن رفضهم للحقّ سببه صدور قرارات
تعسفية ضدهم من الله -تعالى- عن ذلك علواً كبيراً- دون ذنب
اقتروفه، فأعرضوا عن الحق؛ لأن الله ختم على قلوبهم، ولم يسمعوا
للحق، لأن الله أصمّ آذانهم، ولم يروا الحق لأن الله طمس على

أعينهم، وإنما الحقيقة أن طمس الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم كان حصاد رفضهم وإعراضهم عن الحق في إصرار وعناد، وليس سببه وعلته"

ونفى الجهة والحد عن الله تعالى وكل صفات النقص، فقد قال في تفسيره آية الكرسي: "هذا يدمغ تصورًا عن الله أساسه أنه تعالى - جلّت ذاته وتقدّست صفاته- تعتريه النقوص وتحده الحدود، مثله مثل المخلوقات البشرية الناقصة المتناهية، خذلك مثلاً ما تقوله التوراة: (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل) [التكوين: 42: 2] ... حاشا لله أن تناله هذه النقائص والعيوب"

موقفه من الخلافات الفقهية:

لا يتوسع في سرد خلافات الفقهاء - وإن لم يخلُ كتابه منها في بعض الأحيان، كحديثه عن بعض أحكام الخلع ، لكنه يعدّ مقالاً في هذا الجانب بشكل عام.

مقدمات تاريخية للآية:

كان يتطرق لبيان ظروف وأحوال العرب، وشرح مقدمات تاريخية تُسهّم في توضيح معنى الآية، عند قوله تعالى: {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)} [البقرة: 42]، قال: "لكي نفهم هذه الآي علينا أن نأخذ في الاعتبار أن العرب وقتذاك كانوا أميين غير متعلمين في معظمهم، على حين كان التعليم منتشرًا

بين اليهود الذين كان منهم علماء كبار يعيشون بين العرب ووصلت شهرتهم إلى ما وراء الجزيرة العربية، فكان ذلك سببًا في انبهار مشركي العرب بثقافة اليهود، لأن علماءهم وأخبارهم كانوا يستعرضون عليهم عضلاتهم في ميدان التعليم والثقافة والتقوى والتدين، مدعّمين ذلك باستخدامهم السحر والتعاويد والتمايم، وكان أهل المدينة خاصة مهورين بثقافة اليهود وتعليمهم نظرًا توشيح العلاقات بينهم ليل نهار، فنتج عن هذا أن تأثروا بهم كثيرًا كما يتأثر الشعب الجاهل المتخلف عادة بجيرانه الذين يفوقونه ثقافةً وتحضرًا وتدينًا" عنايته بأسباب النزول:

كان يذكر بعضها، لكن دون التصريح بأن ما ذكره سبب نزول للآية، ودون الاستعانة بروايات السنّة، فعند قوله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَّمَهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ...} [البقرة: 142]، قال: "حين تحولت القبلة إلى المسجد الحرام راح السفهاء الذين لم تكن لديهم البصيرة التي يفهمون بها المعنى الحقيقي لهذا التحويل، يثيرون اعتراضات ومزاعم يبلبلون بها فكر المؤمنين، وظنّوا -لحمقهم وغبايمهم- أن الله قد تحدّد مكانه في اتجاه معين (هو بيت المقدس)، وأن تغيير القبلة إلى الكعبة لا يعني سوى التحويل عن ذات الله، فأبطل الله زعمهم هذا بإعلانه للناس أن المشارق والمغرب والجهات جميعًا لله رب العالمين" إقلاله من الاستشهاد بالأحاديث:

بشكل عام يُلاحظ أن استشهاده بالأحاديث النبوية الشريفة أمر نادر، وإن ذكر حديثاً فلا يذكر سنده وأحياناً قليلة يشير إلى المصدر، ولا يبين درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

وأحياناً يروي الحديث بالمعنى، من ذلك أنه قال عند تفسيره للآية الكريمة: {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [آل عمران: 170]، "هناك حديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مروى في مسند الإمام أحمد معناه أن من ذهب من هذه الدنيا، وقد عمل صالحاً آتاه الله نعيماً لا يتمنى بعده أن يعود إلى الدنيا، إلا الشهيد فهو يتمنى أن يرسل إلى الدنيا لينعم بنعيم وحلاوة ما يراه حين تفيض روحه في سبيل الله".

رده على بني إسرائيل:

كلما ورد ذكر بني إسرائيل في الآيات الكريمة، يحدث عن اليهود وتحريفهم لكتابتهم، فيقول معلقاً على الآية الكريمة: {قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة: 79]: "هذه الآية تشير إلى ما كان يفعله علماء اليهود، فهم لم يكتفوا بتحريف كتابهم المقدس ليلائم أمزجتهم وأهواءهم، بل خلطوا متنه الأصلي بتفاسيرهم الخاصة، وتاريخهم القومي وخرافاتهم وفلسفاتهم وقوانينهم ونظرياتهم التي صاغوها بأنفسهم، ثم قدموا هذا المزيج كله في الشكل الحالي للكتاب المقدس، على أنه من عند الله، بحيث إن كل قصة تاريخية، وكل أسطورة، وكل تفسير، وكل عقيدة مبتدعة، وكل قانون محلي دون في

الكتاب ... ولم يستطع أحد منهم إنكار هذا لأن كتابهم نفسه يشهد به"

وقوعه في الإسرائيليات:

مع أنه ردّ الشبهات التي أثارها بنو إسرائيل، إلا أنه وقع في الإسرائيليات، وانزلق بإيراده نصوصًا من التوراة والإنجيل، مستشهدًا بها لا منكرًا، فحين فسر قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} [البقرة: 247]، قال: "تقول التوراة: وكان رجل من بنيامين اسمه قيس، وكان له ابن اسمه شاول شاب وحسن، ولم يكن رجل في بني إسرائيل أحسن منه من كتفه فما فوق، كان أطول من كل الشعب، فضلت أتن قيس أبي شاول فقال قيس لشاول ابنه: خذ معك واحدًا من الغلمان وقم اذهب فتش عن الأتن، وفيما هما آتيان في وسط المدينة إذا بصموئيل خارج للقائهما ... فلما رأى صموئيل شاول أجابه الرب هو ذا الرجل الذي كلمتك عنه، هذا يضبط شعبي، ... فأخذ صموئيل شاول وغلّامه وأدخلهما إلى المنسك وأعطاهما مكانًا في رأس المدعويين، وهم نحو ثلاثين رجلًا ... فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه ... وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسًا ... فقال صموئيل لجميع الشعب: أرايتم الذي اختاره الرب ... [صموئيل الأول: 9 - 10].

وقام بالإحالة إلى أسفار بني إسرائيل في غير موضع، وهذه الإحالات تتعارض مع سلامة بناء العقلية المسلمة، فما ورد في القرآن

الكريم والسنة النبوية المطهرة يكفي ولا حاجة للخوض فيما لم يرد في مصادرنا.

منهجية مضطربة:

على أننا نجده يحارب ما جاء في العهد القديم في مواضع أخرى من كتابه، فبعد أن مرّ على قصة خلق آدم -عليه السلام- في سورة البقرة قال: "والأفضل مطالعة قصة الخلق كما وردت في العهد القديم في سفر التكوين، الإصحاح 1 - 3 ومقارنتها بما يرويها القرآن، ومما لا شك فيه أن المقارنة بين الروايتين تسفر عن القطع بأن القرآن بقي سليماً في نقائه وشكله الأصلي، وبالصورة نفسها التي أوحاه عليها رب العالمين، وأن الكتاب المقدس قد امتدت إليه الأيدي، وتلاعبت بنصوصه الأقلام. وهذا ينبئ عن اضطراب في منهجية الأستاذ رحمه الله فيما يتعلق بالإسرائيليات.¹⁷

ملاحظة السياق:

ومما اعتنى به في التفسير استحضار السياق الذي وردت فيه الآية للوصول إلى مزيد من البيان والوضوح، كما جاء في بيان مناسبة قوله تعالى: {مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)} [الفتحة: 4]: "بعد القول بأن الله رحمن رحيم أضيف إليها على الفور أنه مالك يوم الدين، كي

¹⁷ : التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، الأستاذ الدكتور فضل

حسن عباس

دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن

لا يغتر أحد من الناس في رحمته وشفقته، وينسى أنه تعالى سوف يأتي ببني آدم زمراً من أولهم إلى آخرهم، ويحاسب كلاً منهم على ما اقترفت يداه، فعلى المسلم إذن أن يضع في ذهنه أن الله ليس رحيماً فحسب، لكنه عادل أيضاً وذو سلطان مطلق في أن يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، لأن قوته اللامحدودة تملو كل شيء، ومن هنا ينبغي أن نؤمن تمام الإيمان بأنه تعالى قادر بإطلاق على أن يجعل نهايتنا سعيدة أو تعيسة، وأن يحسن ختامنا أو يسيئه"

الاعتراضات عليه

هذا التفسير العجيب على الرغم من رونق أسلوبه ووسعة تعاليمه مع ما صنفه المؤلف من كتبه المشهورة كالأصطلاحات الأربعة قد أثارت ضجة في الأمة المسلمة، لأنه أتى بتفسير سياسي للقرءان وهو الذي لم يسبق إليه المفسرون واتهمهم بالجهل.

يقول المودودي: " فمن الحق الذي لا مرأ فيه أنه قد خفي على الناس معظم تعاليم القرآن، بل قد غابت عنهم روحه السامية وفكرته المركزية لمجرد ما غشي هذه المصطلحات الأربعة (الإله ، الرب، الدين، العبادة) من حجب الجهل " . المصطلحات الأربعة))
إن منهجه هذا هو دراسة المجموع الكلي للمعاني المختلفة للفظ الدين في اللغة والقرآن ، من أجل أن يبرهن على أن المجموع الكلي للمعاني المختلفة للدين إقامته كنظام ودولة.

وعلى سبيل المثال انظر كيف يفسر الآية : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " . (الشورى: 13) فلقد فسر المودودي المراد بالدين في هذه الآية ، كافة الأحكام الشرعية التي نجدتها في الإسلام كالفردية والاجتماعية والشعبية والدولية ، ومعنى الإقامة تنفيذها ، وعلى ذلك فهذه الآية تأمرنا بإقامة النظام الشرعي في الحياة الإنسانية بكامله . (تفهيم القرآن: المجلد6، ص488-490) ولقد كتب المودودي ذلك في تفسيره رداً – بصورة غير مباشرة على من يعتقد خلاف هذا التفسير ، وكتب وحيد الدين خان معلقاً عليه : " إن الدين – في حقيقته الجوهرية – ليس نظاماً خارجياً يتطلب السلطة لتنفيذه وإرغام البشر عليه بل إن الدين في الحقيقة أنموذج فردي للحياة ، ووجود الإنسان الوجود الذي يحيا به خلال مراحل حياته والوجود الذي يولد وينتهي به هو الذي يجب أن يصطبغ بالدين، وهو الوجود الذي يجب أن يصاغ وفقاً لمشيئة الله . هذا هو إقامة الدين بصورة أساسية ، إن وجود الإنسان لا يمكن أن يحيط به أي قانون أو أية مؤسسة سياسية ، إنه يمكن السيطرة عليه من خلال إرادته الشخصية فحسب . إن الإنسان لا يحكم من قبل الآخرين ولكن يحكم من قبل نفسه ، وعليه فإن إقامة الدين تعني أن ينفذه الإنسان على نفسه بمحض إرادته الحرّة . أما السعي وراء المعارضة السياسية للحكام، لجلد الآخرين على ظهورهم فليس

هو الطريق الصحيح لإقامة الدين ". (إقامة الدين: مجلة الرسالة، أغسطس 1988، دلهي)

ومن الآيات التي كثيرا ما يستدل بها المودودي وسيد قطب على وجوب الانقلاب السياسي ، وأنه أصل الدعوة لإقامة حكم الله في الأرض الآية التالية من سورة يوسف : " يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ". (يوسف: 39-40)

يرى المودودي أن الحكم في الآية السابقة يتعلق بالحكم السياسي " إن الحكم إلا لله " وهو بخلاف ما يذهب إليه كافة المفسرين : " ما تعبدون من دونه إلا أسماء . بين عجز الأصنام وضعفها فقال ما تعبدون من دون الله إلا ذوات أسماء لا معاني لها ، وقيل المقصود بالأسماء المسميات ، أي ما تعبدون إلا أصناماً ليس لها من الإلهية شيء إلا الاسم لأنها جمادات " . (القرطبي : 9/192)

ومن الآيات التي كثيراً ما يستدل بها المودودي وسيد قطب على نفس القضية " أن إقامة حكم الله هو أصل الدعوة ، ووجوب الانقلاب السياسي لذلك ، وهو هدف الرسل الأصلي ، الآية من سورة المائدة التي تقول (:) " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " . (المائدة:44)

في سياق غير السياق الصحيح الذي ورد فيه المعنى ، وعندما أراد الخوارج في السابق تطبيق هذه الآية على نفس القضية رد ابن عباس رضى الله عنهما : " ليس بالكفر الذي تذهبون إليه " .

لقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يفهمون القرآن فجعلوا الكفر أصلاً دون فروعه، لا ينقل صاحبه عن ملة الإسلام. من ذلك قول ابن عباس عندما سئل عن: " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " قال ابن طاووس : وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله . وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضاً: " كفر لا ينقل عن الملة " . وعن عطاء: " كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق " .

(تفسير ابن كثير: ج2، ص 56)

وعلى العموم فالآية السابقة لا يمكن الاستدلال بها على مهمة الرسل الأصلية أو الاستدلال بها على وجوب الانقلاب السياسي فهي آية تتعلق بكل مسلم يقتضي إيمانه أن يقوم حكمه على أساس القسط والعدل ، وهي ليست خاصة بأهل السلطة دون غيرهم بل تشمل كل المسلمين.

يقول الناقدون أنه ادعى خلاف ما صرح به القرءان في أمر فرعون وقومه لإثبات الحاكمية السياسية، مثلاً يقول المودودي:

" هيا بنا ننظر الآن في قضية فرعون وآله مما قد شاع عنهم في الناس من الأخطاء أكثر مما شاع فيهم عن نمرود وقومه فالظن الشائع أن

فرعون لم يكن منكرًا لوجود الله تعالى فحسب ، بل كان يدعي الألوهية لنفسه أيضاً ، ومعناه أنه قد بلغت منه السفاهة أنه كان يجاهر على رؤوس الناس بدعوى أنه فاطر السماوات والأرض وكانت حاشيته من البله والحماقة أنها كانت تؤمن بدعواه تلك ، والحق الواقع الذي يشهد به القرآن والتاريخ هو أن فرعون لم يكن يختلف ضلاله في باب الألوهية عن ضلال النمرود ، ولا كان يختلف ضلال آله عن ضلال قوم نمرود¹⁸

التفسير الإلحادي والنسوي والتعدد الثقافي

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين وما يليها تطورًا كبيرًا للحراك اللبرالية الإلحادية والنسوية الغربية. وتأثرت آثارها في تفسير القرآن أيضاً، وفسر البعض على أصولهم العلمانية والبارليسة الإلحادية وجحدوا المعجزات وحلّلوا المحرمات وجعلوا حقائقها مجازات وهلم جرا، أخذ البعض من القرآن ما لا يخالف مذاهبهم الإلحادية أو عقولهم التافهة وأولوا صرائح القرآن بما يوافقها وبعض جعلوها كتابا دينيا يتلى ولا يعمل به وأما البعض الآخر فسلموا أنه كتاب الله المقدس، ولكن أترهم النزعات الحديثة وحملوا معانيها على ما يقنع ميلانهم الفاسد وابتعدوا عما فسرههم السلف والخلف واتهموهم بالجهل!

الرؤية النسوية للقرآن الكريم:

¹⁸ الاصطلاحات الأربعة

يمكننا القول بأن الرؤية النسوية للقرآن الكريم تنطوي على اتجاهين رئيسيين:

الاتجاه الأول: هو الاتجاه النسوي العلماني، وترى بعض متطرفات هذا الاتجاه أن القرآن الكريم ما هو إلا كتاب يرتل بنغمة واحدة خالية من المعاني، ومن أبرز رائداته: نوال السعداوي، ورجاء بن سلامة. تقول نوال السعداوي في أحد لقاءاتها: "تجديد الخطاب الديني يعني تغيير النصوص" وتساؤها المحاورة عما إذا كان ذلك يشمل القرآن الكريم فتجيب بالإثبات. وتعتبر القرآن مجرد كتاب وليس نصًا إلهيًا، كما تعتبر الأمر بالعبادات في القرآن كالصلاة والصوم والحج ليس مهمًا

الاتجاه الثاني: هو النسوي الإسلامي كما يزعمه أصحابه- وإن لم يسلم به أكثر الأمة، ومن أبرز رائداته: آمنة ودود، وأميمة أبو بكر، وزيبا مير حسيني. تقول آمنة ودود في مقدمة كتابها القرآن والمرأة

-الرؤية النسوية للتفسير القرآني:

وأما عن موقف الرؤية النسوية من تفسير القرآن الكريم، فترى النسوية التأويلية -التي تبحث في تأويل القرآن- أن القرآن الكريم موجّه للجنسين دون تمييز بينهما، وتستنتج من ذلك أنه لا يحق لأحد الجنسين أن يستأثر بقراءته أو تفسيره دون الآخر، وترى أنه من اللازم أن توجد علامات تفسير نسويات يخالفن الآراء الذكورية

الموجودة في تفاسير القرآن تجاه قضايا المرأة لتتخلص النساء من الاضطهاد الذي سببته تلك التفاسير عبر القرون.

كما ترى أنه لا يوجد تفسير نهائي يُتوقف عليه، بل إن كل نص ينبغي أن يُفهم بما يناسب عصره، بما في ذلك النصوص المتعلقة بقضايا المرأة، وتسمي آمنة ودود في كتابها القرآن والمرأة -المشار إليه سابقا- مثل هذا النوع من التفسير "بالتفسير الكلي"، بينما تصفه فريدة النقاش في كتابها حدائق النساء بأنه "قراءة متقدمة للنص الديني".

هذه الرؤية النسوية للقرآن وتفسيره تنطوي على عدة أصول تتضح من خلالها الأخطاء التي وقعت فيها ربّات هذا الاتجاه عند تبنيها تلك الرؤية، وفيما يلي عرض موجز لأبرز هذه الأصول ونقدها.

الأصول التي تقوم عليها الرؤية النسوية لتفسير القرآن ونقدها:

لا تعترف النسوية بالمنهج الذي سلكه المفسرون الأوائل في تفسير القرآن، بل ربما لا تحاول دراسته دراسة تقوم على الإنصاف والنظر في أصوله، وإنما تضع التفسيرات التي لا تقوم على الرؤية النسوية في خانة واحدة وهي خانة الذكورية البغيضة التي يجب الفرار من ناراها إلى جنة النسوية، وهكذا تفارق الرؤية النسوية لتفسير القرآن مناهج المفسرين السابقين، في الأصول الثلاثة الآتية: على الأقل

نظرية التأويل (الهرمنيوطيقا) ونقدها

يُعرّف مصطلح الهرمنيوطيقا (Herméneutique) بأنه يعني: "تفسير

نصوص فلسفية أو دينية وبنحو خاص الكتاب (شرح مقدس)، ويقال خصوصا على ما هو رمزيوقد تعرّض هذا المصطلح لتطورات عدّة في مدلوله حسب تطور الفكر الديني والفلسفي في السياق الحضاري الغربي.

وعلى الرغم من ان النص حصيلة لعقلية المؤلف الا انه يكتسب معنى خاصا بمجرد ان يصبح في متناول يد القارئ. ويظهر أثر الهرمنيوطيقا عند التعامل مع النصوص الشرعية في كتابات نسويات عربيات مبرزات مثل: آمنة ودود، وفاطمة المريني.

يتضح مما سبق أن النسوية العربية تناولت النص القرآني على أساس المماثلة بينه وبين النصوص الدينية المسيحية، وهذا لا يدع مجالاً للشك في بطلان هذا المنهج، فهو يبرز فساد النظرة النسوية العربية للتعامل مع القرآن، لأنها ستكون مبنية على الإقبال على النص القرآني بأفكار سابقة التشكل من منهج ثقافة أخرى مخالفة، ولدواع -ربما كان لها ما يبررها في الغرب- لكنها لا تنطبق على القرآن الكريم.

محاولة الجمع بين الإسلام والحداثة ونقدها

النسوية ترى أن الإسلام والحداثة يتقابلان ولكن لا يتضادان. وانطلاقاً من هذا الأصل فإن تفسير القرآن لا يقف عند حدّ أو معنى، بل ينبغي إعادة تفسيره بما يتوافق مع الزمن،

الإسلام هو الدين الخاتم وشريعته هي الشريعة الخالدة وفيه ما

يصلح لكل عصر ومصر، "فليس تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، فالتفسير الحدائي للقرآن إذن يجعل المقدّس عرضة للعبث بأيدي كل من راح وجاء، وما ذلك في حقيقته إلا اتباع للهوى المنهبيّ عنه في الشريعة مهما تلبّس بشتى المسميات.

محاكمة النص القرآني إلى الجندر: ونقدها

يعد مفهوم الجندر (gender) مفهوما واسعا ومحوريا في الدراسات النسوية، والترجمة العربية لهذه الكلمة تعني النوع أو الجنوسة، ويشير هذا المصطلح إلى أن الاختلافات بين الجنسين ترجع إلى التركيب الاجتماعي الثقافي لا إلى الطبيعة البيولوجية لأبيّ منهما، وأن مفاهيم الذكورة والأنوثة هي ببساطة صناعة اجتماعية ثقافية. وتسعى النسويات من خلال تفسيرهن للقرآن إلى محاولة (جندرة القرآن) بتأويل نصوصه على أساس عدم التفريق بين الجنسين بأي وسيلة، كما فعلت بعض الباحثات النسويات مع آية الخلق "الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها" بتفسير نسوي مقابل للتفسير المشهور، وهو أن النفس الأولى هي نفس الأنثى

يتضح مما سبق أن الرؤية النسوية لتفسير القرآن الكريم تقوم على بعض الأصول الفاسدة التي تُفقد النص القرآني قداسته بل مفهومه ودلالته، وتُقبل عليه بأيديولوجية مسبقة تهدف إلى شرعنة المفاهيم النسوية، فليس منهج البحث النسوي في القرآن منهجا للبحث عن

مراد الشارع الحكيم -سبحانه وتعالى- وإنما للبحث عن رغبات ذاتية
منبتها ضغوط العصر الراهن وتحديات¹⁹ هـ.

ومن التفاسير المتأثرة بالليبرالية الالحادية ما صنفه محمد أبو
زيد، الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، وتكلم عنه على
التفصيل قريبا

الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد أبي زيد

المعلومات المتوفرة عن أبي زيد شحيحة للغاية، وما أشار إليه
رشيد رضا في مجلة المنار وكان على معرفة شخصية به، وهي لا تخرج
عن كونه أحد الشبان الذين درسوا بالأزهر فترة ثم تردد على دار
الدعوة والإرشاد التي أسسها رشيد رضا، وهو من المنتمين لحزب
الوفد والمتعصبين له، وقد سافر إلى بعض البلاد الشرقية فانفتحت
أمام ناظره بعض المعارف التي لم تتح له بالأزهر، وله عدة رسائل
ومؤلفات أصدرها قبل تفسيره ومنها: كتاب (هدي الرسول صلي
الله عليه وسلم) الذي وصفه بأنه "تبيان للطريقة المحمدية وما جاء
به الرسول من الأعمال المنطبقة على القرآن" وله مؤلف آخر عنوانه
(الزواج والطلاق المدني في القرآن) تبني خلاله الدعوة إلى إبطال
بعض التشريعات الإسلامية المتعلقة بالزواج والأسرة بحجة عدم
مسايرتها للعصر.

¹⁹<https://almohaweron.com>

وقد أثار محمد أبو زيد الرأي العام المصري مرتين: الأولى، كانت بين عامي 1917/1918 م حين صرح بأن " آدم ليس نبياً ولا رسولاً بنص قطعي، وإنما نبوته ورسالته ظنيتان" فادعى عليه بعض الشرعيين أمام محكمة دمنهور الشرعية التي حكمت بردهته وبالتفريق بينه وبين زوجته فكتبت الجرائد مستنكرة وتدخلت وزارة الحقانية وحُكم بتبرئته من التهمة المنسوبة إليه في الاستئناف. والثانية، كانت عام 1930م حين أصدر تفسيره (الهداية والعرفان) الذي أثار أزمة عنيفة في حينه، ووقعت منه نسخة بين يدي شيخ الأزهر فأبرق إلى الحكومة التي سارعت، تحت تأثير الخشية من تكرار أزمة كتاب (في الشعر الجاهلي)، إلى مصادرة نسخ الكتاب في المطبعة وما وجد في هيئة البريد معداً للسفر، ثم كتب في جريدة الأهرام محذراً من هذا التفسير وتبعه رشيد رضا وآخرون، وبهذا لم يتح إلا لنفرٍ قليل الاطلاع عليه، ولم يستطع أحدٌ من رواد القراءة المعاصرة أن يدعي لاحقاً أنه امتداد لمدرسة أرسى قواعدها التأويلية محمد أبو زيد.

المقولات التفسيرية

افتتح محمد أبو زيد تفسيره بإيضاح السبب الحامل له على وضع تفسيره وجعل من أسباب ذلك: " الدس والحشو في التفاسير" حتى لا نجد أصلاً من أصول التفسير إلا ونجد بجواره رواية موضوعة، وأن المفسرين جعلوا من الاصطلاحات الفقهية والكلامية أصولاً حكموها على القرآن، وشيوع التقليد في التفاسير، وتغير معاني

القرآن وتبدل مقاصده وحاجته إلى تفسير جديد، وهكذا مضى أبا زيد مفسرا القرآن الكريم على ضوء عدد من المقولات ومنها:

أولاً: مقولة "تفسير القرآن بالقرآن" أي دون قيد من اللغة والسنة، وهو يبين طريقته التفسيرية هذه بقوله أنها "كشف معنى الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور ، فيكون من ذلك العلم بكل مواضع القرآن، ويكون القرآن هو الذي يفسر نفسه بنفسه كما أخبر الله، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع". لكنه حين مارس ذلك فعليا كان يحيل الآية التي يعرض لها إلى آيات أخر كثيرة لا يربطها بالآية الأولى رابط كما ذكر رشيد رضا.

ثانيا: مقولة "القرآن كله متشابه" وهو يعرف المتشابه بأنه "تحمله لاختلاف الآراء والأنظار في كل زمن، أي أنه من تعدد المعنى يتشابه ويختلف على الناظرين" ولا يُستثنى من ذلك إلا أصول الدين المحكمات وهي: الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات، وعدا هذه الثلاث فكل ما ورد في القرآن من تشريعات وأحكام وأوامر ونواه هي متشابهة أي غير قطعية يجوز للمسلمين فهمها على أوجه متعددة وتعديلها والتصرف فيها.

ثالثا: مقولة "ضرورة السنن والنواميس وعدم تبدلها" ويعني بها حتمية هذه السنن وثبوتها وعدم تبدلها مطلقا ولو بفعل الله ومشيئته، وأنه ما وقع ذلك في الماضي للرسول ولا لغيرهم من بني آدم

منكرا بذلك معجزات الأنبياء وخلق آدم من تراب، وولادة عيسى من دون أب لمصادمتها السنن الكونية وحقائق العلم.

ومن ذلك نتبين أنه قد نحا في تفسيره منحى مادي حيث تأول ما ورد في عالم الغيب من الجن والشياطين والملائكة ومعجزات الأنبياء والمرسلين تأويلا مادياً بحجة أن الزمان والعلم يقتضيه- كما فعل شحرور من بعد، ونلاحظ أيضا أنه كان من أوائل المحاولات التي عمدت إلى الفصل بين القرآن والسنة إذ لم يستشهد أبو زيد في تفسيره بالسنة سواء أكانت قولية أم فعلية على اعتبار أن القرآن يفسر بعضه بعضا دون حاجة إلى وسيط خارجي.

العلماء وتفسير الهداية والعرفان

أثار صدور تفسير الهداية والعرفان أزمة كبرى في حينه، وتصدى عدد من العلماء لتفنيد ما تضمنه من اجترأ على قواعد التفسير، ومن هؤلاء رضا الذي قال: "إن هذه الحواشي (الهوامش) القليلة المهمة لا يصح أن تسمى تفسيراً بوجه من الوجوه فإنه على اعتماده فيه على فهمه الشاذ المخالف للغة والشرع - وهما مادة كل تفسير - يحيل فيه عند أكثر الآيات التي يكتب شيئاً بإزائها على آيات متعددة وعلى سور كثيرة لا يمكن أن تكون بمعنى الآيات أو الآية التي جعلها مفسرة لها، وقصاراه أن يكون في بعضها مسألة منها، وأكثر الآيات لا يفسرها بشي".

أما الشيخ محمد الخضر حسين فقد تتبع المصادر التي استقى منها المؤلف أفكاره، وذهب إلى أنه يجري في تأويله "وراء طائفة الهائية فإنهم ينكرون للرسول عليهم الصلاة والسلام معجزات صرح بإنكارها داعيتهم المسمى، أبا الفضل. فقد ذكر المعجزات في كتابه المسمى (بالدرر المهيبة)" ثم راح يقارن بين فقرات من هذا الكتاب الأخير وما ذهب إليه محمد أبو زيد في تفسيره موضحا التماثل بينهما.

وأما الشيخ حسين الذهبي فذهب إلى وصف الرجل بأنه "جامد على المحسوسات، جاحد لكثير مما أخبر به القرآن منكر لأحكام قررها القرآن والسنة، وأجمع عليها الصحابة" وذكر من ذلك إنكاره لأحكام تعدد الزوجات، وحدي الزنا والسرقه، وفي بيان المقدار الواجب من الزكاة الذي يذهب فيه إلا أن تقديره يكون منوطا بالأمة وحسب حالتها، وهو ما يرفضه الذهبي بقوله " وليس للأمة دخل في تقدير مقررات الزكاة بعد أن قدرها الرسول عليه الصلاة والسلام وقررها على الأمة."

وبالجملة، يعد تفسير الهداية والعرفان محاولة باكرة لتأويل القرآن تأويلا ماديا، ورغم ضحالتها المعرفية وسذاجتها، وما اعترأها من تجاهل ونسيان يتم بعثها مجددا بحسبانها حلقة أولى من حلقات القراءة المعاصرة للقرآن الكريم²⁰.

²⁰<https://islamonline.net> فاطمة حافظ

التفاسير في كيرالا

لم يألف في كيرالا في التفسير كثير كتب في اللغة العربية ، ولكن ما ألفت جيدة قيمة بحسب محتوياتها وأسلوبها ، ومن أهمها "على هامش التفاسير" للسيد إسماعيل شهاب الدين الفانوري، وتيسير الجلالين وتسهيل البيضاوي كلاهما الشيخ عبد الرحمن باوا المليباري. هذا من أبرز كتب التفاسير المؤلفة في ربوع كيرالا، على الرغم من أن ولاية كيرالا لم تنجب كتبا كثيرة في صعيد التفسير القرآني ، كان العلماء المليباريون يهتمون بالتدريس و التعمق في علم التفسير. لأنهم تعايشوا في تعلم معاني و مفاهيم القرآن مع تفسير الجلالين و شروحها و حواشيها و تعليقاتها كتفسير الصاوي وتفسير الجمل ومع تفسير البيضاوي كذلك على سبيل الخصوص. أما على سبيل العموم استفادوا بكل حرص ورغبة ممتعة من سائر التفاسير للعلماء المتقدمين و المتأخرين. مما يسלט الضوء على ان البغية المهمة بحلقات دراساتهم التقليدية، الاستفادة والتبحر في مفاهيم القرآن والأحاديث، مثابة عكوفهم على تفسير الجلالين.

على هامش التفاسير: تعليقات على تفسير الجلالين للسيد الفانوري

هذا مؤلف ممتاز في ميدان تفسير القرآن بربوع كيرالا، صنفه الشيخ العلامة المليباري السيد إسماعيل شهاب الدين رحمه الله ولد السيد إسماعيل شهاب الدين المليباري في قرية منجيشرم

بولاية كرناتك بالهند، في شهر يناير عام 1936م، لأبوين كريمين، فنشأ وترعرع في كنف هذين الوالدين الحنونين، ثم تتلمذ على العباقرة من العلماء الذين عدّهم مواطنو كيرالا أيقونة للعلم والحكمة في ذلك العصر، مثل شمس العلماء أبي بكر مسليار وعبد الرحمن مسليار، لكن شوقه لتحصيل الجديد من العلوم أشعل في قلبه حب السفر إلى خارج كيرالا، فاتجه إلى دار العلوم في ديوبند للدراسة العالية سنة 1957، فحظي بعدة فرص لمقابلة طلاب العلم من العرب ومناقشته مع كبار العلماء حتى بلغ أوج المعارف الإسلامية والآداب العربية، وبعدما أتم دراسته في دار العلوم عاد إلى مسقط رأسه عازمًا على التضحية بنفسه في سبيل الدعوة الإسلامية في الديار المليبارية، ووضع حجر الأساس لجامعة الزهراء الإسلامية في بانور بمقاطعة كنور بكيرالا

منهجه في التفسير

يأتي بنص تفسير الجلالين في الجانب العالي لصفحات الكتاب أولاً ثم بشرح واضح موجز لا يخلو عما يدور به العقلاء من المعارف النفيسة والبلاغة الفصيحة ولله در شارح العلامة الفانوري قد نجح في معالجة القضايا العصرية والأوضاع السياسية الأخرى في ضوء الآيات القرآنية مستندا إلى البحوث والدراسات ولم يكن هذا التأليف يطرح شوكا في طريق السلف الصالح بل كثيرا ما استمد

الكاتب من جل الكتب القيمة في تفسير القرآن الكريم للعلماء البارزين.

ذاع صيت السيد إسماعيل الآفاق بعدما حظي العالم بقريحته في التأليف بإصدار هذا التفسير فبذل له ليلا طويلا ونهارا وألفه ببحوثه العميقة مختلطا بين أساليب الكتب القديمة والآداب العربية المتداولة في العصر الجديد وإنما يكون له الفضل الكبير والمدح الجليل أنه ينحدر من عالم عجمي مليباري لا تعرف الثقافة العربية تجهل عما يدور على اللغة من تيارات تجديدية في البلاد العربية لكنه رجل أودع الله فيه مواهب العرب الحاضر وقريحة الأديب الراهن فكان نزاعا للعلم مولعا بالبحوث حينما بذل جهده لهذه الخدمة نحو تسع سنوات متواصلة لا يزعجه الأمور التافهة والقضايا العائلية الشاقة وجمع العلوم بوساطة الوسائل الإعلامية والشبكات العالمية مثل انترنت وما إليها.

ربما يعبر الشارح رحمه الله عن رؤيته الصارمة حول تدخل الإسرائيليات وتطفلهم لتخضيب الإسلام ونبية صلى الله عليه وسلم بخضبة الكفرية والضلالة، فقام برفض قصة الغرانيق في تفسير سورة الحج عند قوله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان."

من النوادر جدا أن يعالج التفاسير بالقضايا العلمية العصرية مثل كوبي البشرية ودمغ نظرية دارفين وبيولوجيا وعلم

الأجنحة إلا أن المؤلف يحلل كلا منها بصورة تحليلية دقيقة لا يخلو منها شيء حتى يظن القارئ أنها موسوعة تكاد تتفجر منها عيون البحث والنقاش، لا شك أن اللغة العربية لغة فريدة فذة لشرح الآيات الربانية نسجت لحمها وسداها بأناقة اللهجة وطلاقة البديهة فيوجد في تفسيره أقوال السلف الصالح مع العناية بلغات العرب المتشعبة من خلال شعرها ونثرها، كتابه " صفوة الكلام في عقيدة الإسلام " مرآة صافية تجلت فيها مبادئ الإسلام من العقيدة يدور على الإيمان بالله والرسول والأنبياء والملائكة ويوم القيامة والقدر به عز وجل ونزول عيسى عليه السلام وغيرها. وهو حقا يبدى براعته في أدب الأطفال مع رعاية أسلوبه المشرق²¹

"على هامش التفاسير ، تعليقات على تفسير الجلالين" وهو مطبوع في سبع مجلدات ضخمة. فهذا تفسير يشمل عدة جوانب القرآن، كالأسرار الكونية والمباحثات الشرعية واللغوية والعلمية والطبية وغيرها. جدير بمطالعة كل من يريد التعمق في علم التفسير. وهذا التفسير يوضح تفسير الجلالين معتمدا على تفاسير المتقدمين وبعض المتأخرين، منها جامع البيان للطبري وتفسير ابن كثير وتفسير المراغي وفي ظلال القرآن لسيد قطب والجواهر للطنطاوي وغيرها، ومع ذلك استخدم المصنف فيه كتب العلوم مثل

²¹السيد الفانوري وجهوده في خدمة اللغة العربية محمد
فانز/ <https://www.aljazeera.net/blogs/2018/3/31/>

: والله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل وأسرار الكون للدكتور داود سليمان السعدي و من علوم الأرض القرآني للدكتور عدنان شريف وغيرها، بالإضافة إلى المعاجم المشتهرة كلسان العرب لابن منظور والمورد للدكتور روجي البعلبكي...

فهذا التفسير يبين آيات القرآن الكريم بشكل جميل واسع جذاب بما فيه المسائل الدينية والأسرار الكونية.. فهذا المصنف عجب عجاب بأسلوبه و مضموناته ومناهجه ومراجعته.

تيسير الجالين

صنفه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد المولوي المشهور بباوا مسليار ولد سنة ١٩٤٦ في بلدة كودامبزا من محافظة كاليكوت، كيرالا. وهو عالم عبقرى حيث تفتخر ولاية كيرالا العلمية بموهوباته الثقيلة العلمية ، وهو عالم معاصر من أبارز علماء كيرالا ومؤسس مركز دار المعارف الإسلامي و أشهر الكاتبين في صعيد الفكرة الإسلامية السنية. بالإضافة الى خدماته الباهرة في تصنيف كتب الدين في العربية والمحلية كان عضوا في اللجنة الحكومية لإعداد كتب عربية مدرسية للأطفال بين فترة ١٩٨٨ و ٢٠٠٠ من الميلادية. وكتبه مدروسة في المدارس العربية وفي مناهج كلية جامعة الهند الإسلامية.

وله مصنفات نفيسة في العربية والمليامية ومن أشهر كتبه إلى جانب هذا التفسير سيرة سيد البشر وقد طبع بمصر، وأبو البشر ورزق الأصفياء و خلاصة الفقه الإسلامي وغيرها.

منهجه في هذا التفسير

كما يشير اسمه انه مصنف ييسر و يسهل عبارات تفسير الجلالين، فان تفسير الجلالين ملخص من عدة كتب التفاسير المتقدمين، فاحتيج الى كتاب يفتح مغلقاته و يطلق مربوطاته من أمهات التفاسير، فأنشأته يدا المصنف التحرير. حتى الآن لم يتم و لم يكمل بل لا يزال يكتبه. يقول المصنف في مقدمته بعدما مدح و وصف الجلالين تفسير الجلالين ومصنفيها : "فإني أحببت أن أتبرك بخدمة ضئيلة لهؤلاء المشايخ الكرام وذلك بشرح تفسير الإمامين الجليلين الشيخ جلال الدين المحلي والشيخ جلال الدين السيوطي مستمدا ملتقطا من حاشيتي العلامتين : الشيخ سليمان الجمل والشيخ أحمد بن محمد الصاوي مختصرا في بعض المواضع ومضيفا ما يحتاج اليه في بعض الأمكنة. وقد اعتمدت في ذلك كتب التفاسير المعتمدة للأئمة المشتهرة و ذلك تسهيلا وتيسيرا على طلب العصر الذين يعتنون بتفسير الجلالين."

فمصنفة نضده بعبارات أمهات التفاسير كتفسير الرازي والقرطبي والخازن و أبي السعود والبيضاوي والجمل والساوي والنسفي وروح البيان وغيرها . لا شك من شكله السهل الجذاب انه

ليقنع وينفع المدرسين والدارسين والمطالعين و المحاضرين والدعاة ،
والآن ذلك التفسير متداول في أصعدة العلم الديني خاصة على
مناضد كليات عربية في ربوع كيرالا وعمامة على أحباب علم التفسير.و
كتبه بما فيها هذا التفسير توزع للعلماء المطالعين ولعاهد الدعوة
الاسلامية ولكليات عربية وحلقات الدرس التقليدي بشكل مجاني
كامل،

تعليقات على جالين

من عادة علماء مليبار ان يكتبوا في هوامش كتبهم المدروسة
بعض ما يشرحه أو يوضح معانيه ولغته أو أي عبارة مفيدة، ذلك
بينما يدرسون او يتدارسون من أفواه العلماء النحارير الجهابذة ،
بعد هؤلاء الطلاب يستعمل من يلونهم كتبهم لتسهيل متون الكتب
بتلك المكتوبات والتعليقات على هوامش العبارات،هناك عديدة من
الكتب الشرعية في كل فنون متحلية بتعليقات علماء محققين
مدققين،فمن بينها هذا الكتاب كتعليقات على تفسير الجالين
للعلامة المحدث الفقيه الشيخ إسماعيل أحمد النلكوتي تغمده الله
بالغفران والرحمة، يتداوله طلاب تفسير الجالين فيسهل لهم فهمه
و إدراكه، لأنه يحصل مستخدموه على المعني المجمل فالمفصل من
هذه التعليقات التي تقع بقرب المتون خلافا لمطالعة الكتب المطولة
ذات المجلدات من التفاسير فانها وإن كانت مفيدة لا يأتها المطالع

سرعة، فهنا يبرز أهمية هذا المصنف، قد وشحه المصنف بعبارات المفسرين الأسلاف رحمهم الله تعالى والكتب الدينية المعتمدة.

تسهيل البيضاوي

مما نجد في ولاية كيرالا هذا التفسير القيم، رغم عدم تمامه تأليفا لا شك أن سيكون خطوة عظيمة في صعيد علم التفسير، مؤلفه هو نفس مؤلف تيسير الجلالين الشيخ باوا مسليار المليباري، فإنه استهدف بهذا الكتاب تقدما نوعيا في صعيد دراسة التفسير على وجه الخصوص ما يتعلمه في ديار كيرالا، كلياتها وجوامعها وحلقات دروسها التقليدية.

كما يشير سُمَاه فانه مؤلف لكي يسهل تفسير البيضاوي، فإن عبارته غامضة و بالأسرار الدقيقة عامرة و بالشواهد المناسبة حافلة بالإضافة إلى تقاريرها البيانية و البلاغية. فمست الحاجة إلى مؤلف يقوم بتسهيلها و تيسيرها بشكل واضح.

ترجمة القراء بكيرالا

نشرت الترجمة الأولى للقرآن الكريم باللغة الماليلامية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، قام به محي الدين بن عبد القادر (ماين كوتي إليا) من قصر أراكال ، أطلق عليها اسم-Tharjamathu 'thafseeril Quran'، واستغرق الأمر 15 لإكمال العمل كان بالخط العربي الملايامي وفيه 6 مجلدات وكان مستندًا إلى تفسير الجلالين.

وفي عام 1918 ، نُشرت في ديبিকা ترجمة مالايالامية لكتاب أول جزء من القرآن بقلم فاكام عبد القادر مولوي.

وفي عام 1930 ، بدأ مشروع ترجمة القرآن Seethi وKM Moulavi وUppi Sahib وSahib

نُشرت الترجمة المالايالامية للقرآن الكريم بقلم سي إن أحمد مولوي في عام 1963 بمساعدة مالية من الحكومة المركزية، والتي جلبت نقدا عنيفا من قبل العلماء في منهجه ومحتوياته.

وفي عام 1954 ، تم نشر جزء من الترجمة المالايالامية للقرآن من قبل مولوي ب. محمد الإداشيري من قبل ناشر الأدب الإسلامي في بانغلور.

وفي عام 1955 قام عمر مولوي بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة العربية المالايالامية تم نشره باللغة المالايالامية عام 1970. صدرت ترجمة كوياكوتي مولوي موتانيشيري للقرآن في عام 1960 بمقدمة طويلة وكبيرة من قبلعثمان صاحب.

"ترجمة أماني مولوي" نشرت عام 1977. أعيد نشره في أربعة مجلدات من قبل قسم النشر لندوة المجاهدين بكيرالا.

وفي عام 1972 ، صدر المجلد الأول من الترجمة المالايالامية لـ "تفهيم القرآن" ، ترجمة أورودو للقرآن للسيد أبو الأعلى المودودي من قبل Islamic publishing house نُشر المجلد الأخير في عام 1998.

في عام 1970 نشر ك.ف. محمد مسليار ترجمة مليالمية للقرآن بعنوان "فتح الرحمن في تفسير القرآن".

وفي عام 1974 ، ألف ت. ك. عبد الله مولوي ترجمة مستقلة للجلالين باسم "تفسير القرآن".

وفي عام 1991 قام عبد الحميد مدني ، شيرياموندام ، محرر شباب ويكلي وكونجي محمد بارابور بإخراج ترجمة مليالمية للقرآن في مجلد واحد باسم "Vishudha Quran Sampooranna vyakhayanam

وفي عام 1988 ، نشر (IPH) ملخصًا للقرآن الكريم في مجلد واحد باسم "القرآن بهاشيام".

وفي عام 1994 صدر مركز دبي الإسلامي الجزء الأول من كتاب "Vishudha Quran Vyakhyanam" لمصطفى الفيضي ، ثم تابعت الأجزاء.

أتت مؤسسة ماناس بالترجمة الماليلامية لـ "في ظلال القرآن" للسيد قطب باسم "قران تناليل" قام بالترجمة كل من VS Salim و Kunji Muhammed Pulavathu ، قامت مؤسسة ماناس بترجمة مالايالامية أخرى للقرآن بدون الأصل العربي باسم "قرآن مالايالا سارام".

ألف KVM Panthavoor ترجمة باسم "Kur'aante Ulsara Vyakhyanam" وهو ترجمة كتاب "تفسير القرآن" للشيخ محي الدين بن عربي.

نشرت دي سي بوكس ترجمة مليالمية بعنوان "القرآن" ترجمها. عبد الغفار مولوي الكوثري.

صنف السيد أحمد شهاب الدين إمبيشيكويا (1972-1999) الذي كان قاضي كالكوتترجمة ملايلامية للقرآن تسمى "البيان في معان القرآن، نشره "أشرفي بوك ستال" بترورنغادي.

كتب عبد السلام السلي "أنوار القرآن" التي نُشرت عام 1999 . ومنها ترجمة مليالمية للقرآن في مجلدين لعبد الرحمن المخدومي ، قاضي ترورنغادي

كتب او يم ترووانا ترجمة للقرآن باسم فيض الرحمن في تفسير القرآن نشرها Crescent publishing house عام 2013 هناك أيضًا ترجمتان شعريتان للقرآن في الماليلامية . كتب واحدا منهما كونيور راغافان نايروسماه "ديفيا ديبيثي، نشره Samanwayam Books ،. Kozhikkodu عام 1964.

وثانيها "Amrutha Vani" كتبها KG Raghavan Nair ، وهو مواطن Ottappalam ، تم نشره من قبل IPH كاليكوت.

الأسئلة

1. ما هو تفسير العلمي ؟ ما هو موقفك في هذا اللون من التفسير

2. ما هي مزايا وعيوب مدرسة محمدعبد
 3. ما هي الاعتراضات على سيد رشيد رضا
 4. منهج تفسير المنار
 5. خصائص تفسير طنطاوي
 6. هل تظن أن تفسير الهداية والعرفان متأثر بالاراء الالحادية
 7. اكتب فقرة موجزة عن تفسير المراغي
 8. كيف ترى عن تجديدات سيد قطب في أدب التفسير
 9. ما موقفك في التفسير النسوي
 10. منهج أبي الأعلى المودودي في التفسير
 11. أبو الكلام آزاد محررا ومفسرا
 12. مكانة على هامش التفاسير للسيد الفانوري
 13. تراجع القرءان الميامية
- اكتب بيانا مفصلا عن مساهمات علماء كيرالا في التفسير

B الدراسة التفصيلية

: تفسير سورة يس

هي مكية إلا قوله: «وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ» فمدنية. وآيها ثلاث وثمانون، نزلت بعد سورة الجن. ووجه اتصالها بما قبلها:

(1) إنه لما جاء في السورة السالفة قوله: «وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ» وقوله: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ» وقد أعرضوا عنه وكذبوه- افتتح هذه السورة بالقسم بصحة رسالته وأنه على صراط مستقيم لينذروا ما أنذر آباؤهم.

(2) إنه قال فيما قبلها «وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى» وقال في هذه: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» وقال: «وَالْقَمَرَ قَدَرًا مَنَازِلَ» .

فضائل سورة يس

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ يَسَ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ، وَمَنْ قَرَأَ حَمَ الَّتِي يَذْكَرُ فِيهَا الدِّخَانَ أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ» إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ مَوْلَى ثَقِيفٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ بْنِ الْوَلِيدِ السَّكُونِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جُحَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ يَسَ فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ غُفِرَ لَهُ» .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَارِمٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ وَوَلَيْسَ بِالتَّهْدِي، عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أَفْرَأُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ» يَعْنِي يَسَ ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِي فِي الْيَوْمِ وَالتَّلِيَّةِ وَابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بِهِ، إِلَّا أَنَّ فِي رِوَايَةِ التَّسَائِي عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّهُ لَا تُقْرَأُ عِنْدَ أَمْرِ عَسِيرٍ إِلَّا يَسِرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَأَنَّ قِرَاءَتَهَا عِنْدَ الْمَيِّتِ لَتُنَزَّلَ الرَّحْمَةُ وَالتَّبَرُّكَةُ، وَلِيَسْهَلَ عَلَيْهِ خُرُوجُ الرُّوحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9)

{يس} الحروف المقطعة في أوائل بعض السور الكريمة للتنبيه على إعجاز القرآن، وأنه مصوغ من جنس هذه الحروف الهجائية التي يعرفونها ويتكلمون بها، ولكنَّ نظمه البديع المعجز آيةً على كونه من عند الله وقال ابن عباس: معنى «يس» يا إنسان في لغة طيء، وقيل: هن اسم من أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بدليل قوله بعده {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} وقيل معناه: يا سيد البشر قاله أبو بكر الوراق {والقرآن الحكيم} قسم من الله تعالى بالقرآن، والحكيم معناه المحكم، الذي لا يلحقه تغيير ولا تبديل، ولا يعتره تناقض أو بطلان.

والحاصل معناه أقسم بالقرآن المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. إنك أيها الرسول لمن المرسلين لذين هم على دين قويم، وشرع مستقيم.

قال المتولي الشعراوي في الحروف المقطعة:

“ونعرف أن الحروف المقطعة ثمانية وعشرون حرفاً، ونجد نصفها أربعة عشر حرفاً في فواتح السور، وقد يوجد منها في أول السورة

حرف واحد مثل: {ق والقرآن المجيد} [ق: 1] ومرة يأتي من الحروف المقطعة اثنان، مثل قوله الحق: {حم} [الأحقاف: 1] ومرة تأتي ثلاثة حروف مقطعة مثل: {الم} [البقرة: 1] ومرة يأتي الحق بأربعة حروف مقطعة مثل قوله الحق: {المص} [الأعراف: 1] ومرة يأتي بخمسة حروف مقطعة مثل قوله الحق: {كهيعص} [مريم: 1]

وإذا نظرت إلى الأربعة عشر حرفاً وجدتها تمثل نصف الحروف الأبجدية، وهذا النصف فيه نصف أحكام الحروف، فبعضها منشور، أو مهموس، أو مخفي، أو مستعلٍ، ومن كل نوع تجد النصف، مما يدل على أنها موضوعة بحساب دقيق، ومع أن توصيف الحروف، من مستعلٍ، أو مفخم، أو مرقق، أو منشور، أو مهموس، هذا التوصيف جاء متأخراً عن نزول القرآن، ولكن الذي قاله يعلم ما ينتهي إليه خلقه في هذه الحروف المقطعة وله في ذلك حكمة، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أميًّا، ولم يجلس إلى معلم، فكيف نطق بأسماء الحروف، وأسماء الحروف لا يعرفها إلا من تعلم؟! فهو إذن قد تلقنها، وإننا نعلم أن القرآن جاء متحدثاً بالعرب؛ ليكون معجزة لسيد الخلق، ولا يُتحدَّى إلا من كان بارعاً في هذه الصنعة.

وكان العرب مشهورين بالبلاغة، والخطابة والشعر، والسجع وبالأمثال؛ فهم أمة كلام، وفصاحة، وبلاغة، فجاء لهم القرآن من جنس نبوغهم، وحين يتحدى الله العرب بأنه أرسل قرآناً لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، فالمادة الخام - وهي اللغة - واحدة، ومن

حروف اللغة نفسها التي برع العرب فيها. وبالكلمات نفسها التي يستعملونها، لكنهم عجزوا أن يأتوا بمثله؛ لأنه جاء من رب قادر، وكلام العرب وبلاغتهم هي من صنعة الإنسان المخلوق العاجز. وهكذا نعلم سر الحروف المقطعة التي جاءت لتثبت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلقى القرآن من الملائكة الأعلى لأنه أمي لم يتعلم شيئاً، لكنه عرف أسماء الحروف، ومعرفة أسماء الحروف لا يعرفها - كما قلت - إلا المتعلم، وقد علمه الذي علم بالقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم، ويمكن للعقل البشري أن يحوم حول هذه الآيات، وفي هذه الحروف معان كثيرة، ونجد أن الكثير من المفكرين والمتدبرين لكلام الله وجدوا في مجال جلال وجمال القرآن الكثير²² (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) أي هذا الصراط المستقيم، والدين القويم، تنزيل من ذي العزة والرحمة بعباده.

ونحو الآية قوله: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ». (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) أي إنا أرسلناك لتنذر العرب الذين لم يأتهم نذير من قبلك، فهم في غفلة عن معرفة الشرائع التي فيها سعادة البشر، وإصلاح المجتمع.

²²تفسير الشعراوي

وذكرهم وحدهم هنا لأن الخطاب كان معهم، وهذا لا يمنع أنه مرسل إلى الناس كافة كما قال: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً» .

(لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأنه سبحانه سجل عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون به، ولا يصدقون برسوله، لما علم من خبث نفوسهم وسوء استعدادهم، فلا تعمر قلوبهم بالإيمان، ولا تخبت لله في أي زمان.²³

ثم ضرب لهم مثلاً فقال:

(إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ) أي إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي واصلة إلى الأذقان ملصقة بها، فهم من جراء ذلك مقمحون أي مرفوعو الرءوس، إذ أن طوق الغلّ الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الذقن، فلا يمكنه من أن يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا.²⁴

والمراد منعناهم بموانع عن الإيمان تشبه ما ذكر، فهم غاضو أبصارهم، لا يلتفتون إلى الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رءوسهم له.

²³تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي
دار النشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
²⁴ المرجع السابق

ثم أكد ما سبق وزاده بيانا وتفصيلا فقال: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يُبْصِرُونَ) أي إنه زين لهم سوء أعمالهم، وأعجبوا بأنفسهم، واستكبروا عن اتباع الرسول، وشمخوا بأنوفهم، ولم يخضعوا لما جاءهم به، وصدّوا أبواب النظر عما ينفعهم، ولم يقبلوا شيئا سوى ما هم عليه فما مثلهم إلا مثل من أحاط به سدّان من الأمام والخلف فحجباه عن النظر فهو لا يبصر شيئا.

والخلاصة- إنهم محبسون في سجن الجهالة، ممنوعون عن النظر في دلائل الأنفس ودلائل الكون، محرومون عن التأمل فيما حل بمن قبلهم من الأمم الخالية، والتفكر في العواقب المستقبلية²⁵.

ثم ذكر فذلكة لما تقدم فقال:

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخِشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)

(وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي وسواء على هؤلاء الذين حق عليهم القول، إنذارك إياهم وتركه، فإنه قد طبع الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون، إذ قد خبثت نفوسهم، وساء

²⁵المرجع السابق

استعداداهم، وغشيت أبصارهم فلا تقدر على النظر في الدلائل المشاهدة، ولا تستطيع التأمل في جمال الكون. كما قال البوصيري
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من
سقم²⁶

ثم أعقب ذلك بيان من يتأثر بالإنذار فقال:

(إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) أي إنما ينفع إنذارك من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من الأحكام، وخشى عقاب الله قبل حلوله ومعاينة أهواله، فإنه سبحانه عظيم الرحمة، أليم العذاب كما قال: «نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» .

فبشر هذا الذي اتبع أحكام الدين، وخاف العقاب بمغفرة ما فرط منه من الزلات، وأجر كريم، ونعيم مقيم، لا يستطاع وصفه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ونحو الآية قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» .

ثم ذكر ما يؤكد الخشية من الله وخوف عقابه بقوله:

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) أي إنا نحى الموتى جميعا من قبورهم يوم القيامة، ونكتب ما أسلفوا من عمل، وتركوا من أثر حسن بعدهم، كعلم علموه، أو حبيس في سبيل الله وقفوه،

أو مستشفى لنفع الأمة أنشئوه، أو أثر سيء كغرس الأحقاد والأصغان، وترتيب مبادئ الشر والعدوان بين الأنام.

روى ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ سَنَّ حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَلَا: وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَأَثَرَهُمْ»

والمراد من كتابة ذلك مجازاتهم عليه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

ثم ذكر أن الضبط والإحصاء لا يخص أعمال بني آدم، بل يتناول جميع الأشياء فقال:

(وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) أَي وَبَيَّنَّا كُلَّ شَيْءٍ وَحَفِظْنَاهُ، فِي أَصْلٍ عَظِيمٍ يُوْتَمُّ بِهِ، وَيَتَّبَعُ وَلَا يَخَالَفُ، وَهُوَ عَلِمْنَا الْأَزْلَى الْقَدِيمَ الَّذِي لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.

ونحو الآية قوله: «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسِي» وقوله: «وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّبْرِ. وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ»²⁷.

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ سَمَاءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

²⁷تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي
: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17)

ويقول تعالى: وَاضْرِبْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ مَثَلًا أَصْحَابَ
الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيْمَا بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مَنَنْبَهٍ: إِنَّهَا مَدِينَةٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَكَانَ
بِهَا مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ أَنْطَيْخَسُ بْنُ أَنْطَيْخَسَ بْنِ أَنْطَيْخَسَ وَكَانَ يَعْبُدُ
الْأَصْنَامَ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ مِنَ الرُّسُلِ، وَهُمْ صَادِقٌ وَصِدُوقٌ
وَسَلُومٌ، فَكَذَّبَهُمْ ،

وقوله تعالى: إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا أَيْ بَادَرُوهُمَا بِالتَّكْذِيبِ
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ أَيْ قَوَّيْنَاهُمَا وَشَدَدْنَا أَرْزَهُمَا بِرِسُولٍ ثَالِثٍ. قَالَ ابْنُ
جُرَيْجٍ عَنْ وَهَبِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ شُعَيْبِ الْجُبَّائِيِّ قَالَ: كَانَ اسْمُ
الرَّسُولَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ شَمْعُونُ وَيُوحَنَّا، وَاسْمُ الثَّالِثِ بُولِصَ، وَالْقَرْيَةُ
أَنْطَاكِيَّةٌ فَقَالُوا أَيْ لِأَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ أَيْ مِنْ رَبِّكُمْ
الَّذِي خَلَقَكُمْ بِأَمْرِكُمْ بِعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ،
وَرَعَمَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ أَنَّهُمْ كَانُوا رُسُلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ
أَنْطَاكِيَّةَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا أَيْ فَكَيْفَ أَوْجَى إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ بَشَرٌ
وَنَحْنُ بَشَرٌ، فَلِمَ لَا أَوْجَى إِلَيْنَا مِثْلَكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ رُسُلًا لَكُنْتُمْ مَلَائِكَةً،
وَهَذِهِ شِبْهُ كَثِيرٍ مِنَ الْأُمَّمِ الْمُكْذِبَةِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ
عَزَّ وَجَلَّ: ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا
[التغابن: 6] أَي اسْتَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرُوهُ.

وقوله تعالى: قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ [إبراهيم: 10] . وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله جل وعلا: وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ [المؤمنون: 34] وقوله تعالى: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا [الإسراء: 94] وَلَهَذَا قَالَ هَؤُلَاءِ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ أَيَّ آجَابَتِهِمْ رُسُلُهُمُ الثَّلَاثَةُ قَائِلِينَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا رُسُلُهُ إِلَيْكُمْ، وَلَوْ كُنَّا كَذِبَةً عَلَيْهِ لَأَنْتَقَمَ مِنَّا أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، وَلَكِنَّهُ سَيَعِزُّنَا وَيَنْصُرُنَا عَلَيْكُمْ وَسَتَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ عَاقِبَةُ الدَّارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بِنِيَّ وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [العنكبوت: 52] وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَقُولُونَ: إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نُبَلِّغَكُمْ مَا أُرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِذَا أَطَعْتُمْ كَانَتْ لَكُمْ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ تَجِيبُوا فَسَتَعْلَمُونَ غَبَّ ذَلِكَ. قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18)

ثُمَّ كَانَ جَوَابُهُمْ بَعْدَ هَذَا أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ مِنَ الرُّسُلِ الْمُبَالِغَةُ فِي الْبَلَاغِ ظَهَرَ مِنْهُمْ الْعُلُوُّ فِي التَّكْذِيبِ، فَلَمَّا قَالَ الْمُرْسَلُونَ: إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ [يس: 14] قَالُوا: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ [يس: 15] وَلَمَّا أَكَّدَ الرُّسُلُ قَوْلَهُمْ بِالْيَمِينِ حَيْثُ قَالُوا: رَبُّنَا يَعْلَمُ [يس: 15]

[16] أَكْدُوا قَوْلَهُمْ بِالتَّطْيِيرِ بِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْأَوَّلِ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ، وَفِي الثَّانِي صِرْتُمْ مُصِرِّينَ عَلَى الْكَذِبِ، خَالِفِينَ مُفْسِمِينَ عَلَيْهِ، وَ«الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ» فَتَشَاءُ مِنَّا بِكُمْ ثَانِيًا، وَفِي الْأَوَّلِ كَمَا تَرَكْتُمْ فِي الثَّانِي لَا تَتْرُكُكُمْ لِكُونَ الشُّؤْمِ مُدْرِكِنَا بِسَبَبِكُمْ فَقَالُوا: لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ وَقَوْلُهُ لَنَرْجُمَنَّكُمْ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا:

لَنَشْتِمَنَّكُمْ مِنَ الرَّجْمِ بِالْقَوْلِ وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: وَلَيَمَسَّنَّكُمْ تَرَقَّى كَأَنَّهُمْ قَالُوا وَلَا يَكْتَفِي بِالشُّؤْمِ، بَلْ يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى الضَّرْبِ وَالْإِبْلَامِ الْحِسِّيِّ وَثَانِيًا: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الرَّجْمَ بِالْحِجَارَةِ، وَحِينَئِذٍ فَقَوْلُهُ: وَلَيَمَسَّنَّكُمْ بَيَانٌ لِلرَّجْمِ، يَعْنِي وَلَا يَكُونُ الرَّجْمُ رَجْمًا قَلِيلًا نَرْجُمُكُمْ بِحَجَرٍ وَحَجَرَيْنِ، بَلْ نُدِيمُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ إِلَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَذَابُ أَلِيمٍ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ بِسَبَبِ الرَّجْمِ عَذَابٌ مِنَّا أَلِيمٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْأَلِيمِ أَنَّهُ بِمَعْنَى الْمُؤْلِمِ، وَالْفَعِيلُ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ قَلِيلٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ هُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ: عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ [الْحَاقَّة: 21] أَيْ ذَاتِ رِضَا، فَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ هُوَ ذُو أَلَمٍ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ فَعِيلًا بِمَعْنَى فَاعِلٍ وَهُوَ كَثِيرٌ.

قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19)

²⁸مفاتيح الغيب = التفسير الكبير

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي
خطيب الري (المتوفى: 606هـ)
الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

ثُمَّ أَجَابَهُمُ الْمُرْسَلُونَ بِقَوْلِهِمْ: قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيُّ شُؤْمِكُمْ مَعَكُمْ وَهُوَ الْكُفْرُ ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ دُكْرَتُمْ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِمْ: لَنَرْجُمَنَّكُمْ يَعْني أَتَفْعَلُونَ بِنَا ذَلِكَ، وَإِنْ دُكْرَتُمْ أَيُّ بَيِّنٍ لَكُمْ بِالْمُعْجِزِ وَالْبُرْهَانِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ حَيْثُ تَجْعَلُونَ مَنْ يُتَبَرَّكُ بِهِ كَمَنْ/ يُتَشَاءُ بِهِ وَتَقْصِدُونَ إِيلَامَ مَنْ يَجِبُ فِي حَقِّهِ الْإِكْرَامُ أَوْ مُسْرِفُونَ حَيْثُ تَكْفُرُونَ، ثُمَّ تُصِرُّونَ بَعْدَ ظُهُورِ الْحَقِّ بِالْمُعْجِزِ وَالْبُرْهَانِ، فَإِنَّ الْكَافِرَ مُسِيءٌ فَإِذَا تَمَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ وَأَوْضَحَ لَهُ السَّبِيلُ وَيُصِرُّ يَكُونُ مُسْرِفًا، وَالْمُسْرِفُ هُوَ الْمَجَاوِزُ الْحَدَّ بِحَيْثُ يَبْلُغُ الضِّدَّ وَهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْشَاءِ، أَمَّا فِي التَّبَرُّكِ وَالتَّشَاؤُمِ فَقَدْ عَلِمَ وَكَذَلِكَ فِي الْإِيلَامِ وَالْإِكْرَامِ، وَأَمَّا فِي الْكُفْرِ فَلِأَنَّ الْوَاجِبَ اتِّبَاعُ الدَّلِيلِ، فَإِنْ لَمْ يُوَجِدْ بِهِ فَلَا أَقْلًا مِنْ أَنْ لَا يُجْزَمَ بِنَقِيضِهِ وَهُمْ جَزَمُوا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْبُرْهَانِ عَلَى الْإِيمَانِ، فَإِنْ قِيلَ بَلْ لِلْإِضْرَابِ فَمَا الْأَمْرُ الْمَضْرِبُ عَنْهُ؟ نَقُولُ يُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ قَوْلُهُ: إِنَّ دُكْرَتُمْ وَارِدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَنَسْبَتِهِمُ الرُّسُلَ إِلَى الْكُذْبِ بِقَوْلِهِمْ: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ [يس: 15] فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَنْحُنْ كَاذِبُونَ وَإِنْ جِئْنَا بِالْبُرْهَانِ، لَا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ أَنْحُنْ مَشْؤُومُونَ، وَإِنْ جِئْنَا بِبَيِّنٍ صِحَّةٍ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، لَا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ أَنْحُنْ مُسْتَحِقُّونَ لِلرَّجْمِ وَالْإِيلَامِ، وَإِنْ بَيَّنَّا صِحَّةَ مَا أَتَيْنَا بِهِ، لَا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَأَمَّا الْحِكَايَةُ فَمَشْهُورَةٌ، وَهِيَ أَنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ رَجُلَيْنِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ فَدَعِيَا إِلَى التَّوْحِيدِ وَأَظْهَرَا الْمُعْجِزَةَ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى فَحَبَسَهُمَا الْمَلِكُ، فَأَرْسَلَ بَعْدَهُمَا شَمْعُونَ فَأَتَى الْمَلِكُ

وَلَمْ يَدْعِ الرِّسَالَةَ، وَقَرَّبَ نَفْسَهُ إِلَى الْمَلِكِ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَسْمَعُ أَنَّ فِي الْحَبْسِ رَجُلَيْنِ يَدْعِيَانِ أَمْرًا بَدِيعًا، أَفَلَا يَحْضُرَانِ حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُمَا؟ قَالَ الْمَلِكُ: بَلَى، فَأَحْضِرَا وَذَكَرَا مَقَالَتَهُمَا الْحَقَّةَ، فَقَالَ لَهُمَا شَمْعُونُ: فِهَلْ لَكُمَا بَيْنَةٌ؟ قَالَا: نَعَمْ، فَأَبْرَأَ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيَا الْمَوْتَى، فَقَالَ شَمْعُونُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْلِمَهُمْ، فَقَالَ لِلْإِلَهَةِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا تَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، قَالَ الْمَلِكُ: أَنْتَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّهَا لَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَقْدِرُ وَلَا تَعْلَمُ، فَقَالَ شَمْعُونُ: فَإِذْ ذُنْ ظَهَرَ الْحَقُّ مِنْ جَانِبِهِمْ، فَأَمَنَّ الْمَلِكُ وَقَوْمُ وَكَفَّرَ آخَرُونَ، وَكَانَتْ الْغَلْبَةُ لِلْمَكْذِبِينَ.

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَا بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَكَعْبِ الْأَخْبَارِ وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: إِنَّ أَهْلَ الْقُرْبَةِ هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِهِمْ، فَجَاءَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى، أَيُّ لِيُنْصِرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: وَهُوَ حَبِيبٌ، وَكَانَ يَعْمَلُ الْجَرِيرَ وَهُوَ الْجِبَالُ وَكَانَ رَجُلًا سَقِيمًا قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ الْجُدَامُ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ يَتَصَدَّقُ بِنِصْفِ كَسْبِهِ مُسْتَقِيمَ الْفِطْرَةِ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ رَجُلٍ سَمَّاهُ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ مِقْسَمٍ أَوْ

عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اسْمُ صَاحِبِ يَس حَبِيبٍ، وَكَانَ الْجَذَامُ قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي مَجْلَدٍ: كَانَ اسْمُهُ حَبِيبَ بْنَ مَرَى.

وَقَالَ شَيْبُ بْنُ يَشْرٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اسْمُ صَاحِبِ يَس حَبِيبُ النَّجَّارُ، فَقَتَلَهُ قَوْمُهُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ قَصَّارًا. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ: كَانَ إِسْكَافًا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ يَتَعَبَدُ فِي غَارِ هُنَاكَ، قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ يَحُضُّ قَوْمَهُ عَلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَتَوْهُمْ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلُكُمْ أَجْرًا أَيْ عَلَى إِبْلَاحِ الرِّسَالَةِ وَهُمْ مُهْتَدُونَ فِيمَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي أَيْ وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّذِي خَلَقَنِي وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَيْ يَوْمَ الْمَعَادِ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا أَتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً اسْتَفْهَامُ إِنكَارٍ وَتَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ إِنْ يُرِدْنَ الرَّحْمَنُ بِضَرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ أَيْ هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ [يُونُسُ: 107] وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَمْلِكُ دَفْعَ ذَلِكَ وَلَا مَنَعَهُ، وَلَا يُنْقِدُونَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ إِنَّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَيْ إِنْ اتَّخَذْتُمَا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَا بَلَغَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَكَعْبٍ وَوَهْبٍ: يَقُولُ لِقَوْمِهِ إِنَّي آمَنْتُ

بِرِّكُمْ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ فَاسْمَعُونَ أَي فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خِطَابُهُ لِلرُّسُلِ بِقَوْلِهِ: إِنِّي آمَنْتُ بِرِّكُمْ أَي الَّذِي أَرْسَلَكُمُ فَاسْمَعُونَ أَي فَاشْهَدُوا لِي بِذَلِكَ عِنْدَهُ، وَقَدْ حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فَقَالَ: وَقَالَ آخَرُونَ:

بَلْ خَاطَبَ بِذَلِكَ الرُّسُلَ، وَقَالَ لَهُمْ: اسْمَعُوا قَوْلِي لِتَشْهَدُوا لِي بِمَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّي، إِنِّي آمَنْتُ بِرِّكُمْ وَاتَّبَعْتُكُمْ، وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي حَكَاهُ عَنِ هُوَلَاءِ أَظْهَرَ فِي الْمَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَا بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَكَعْبِ وَوَهْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، وَثَبُوا عَلَيْهِ وَثَبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ يَمْنَعُ عَنْهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: جَعَلُوا يَرْجُمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَقْعَصُوهُ، وَهُوَ يَقُولُ كَذَلِكَ، فَقَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِنَّهُمْ وَطَنُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى خَرَجَ فُصْبُهُ مِنْ دُبُرِهِ ، وَقَالَ اللَّهُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَدَخَلَهَا فَهُوَ يَرْزُقُ فِيهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ سُقْمَ الدُّنْيَا وَحُزْنَهَا وَنَصَبَهَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قِيلَ لِحَبِيبِ النَّجَّارِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُتِلَ فَوَجَّهَتْ لَهُ، فَلَمَّا رَأَى الثَّوَابَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي

يَعْلَمُونَ قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَلْقَى الْمُؤْمِنَ إِلَّا نَاصِحًا لَا تَلْقَاهُ غَاشًا. لَمَّا عَايَنَ مِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى: قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ تَمَّتْ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَ قَوْمَهُ بِمَا عَايَنَ مِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ وَمَا هَجَمَ عَلَيْهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَصَحَ قَوْمَهُ فِي حَيَاتِهِ بِقَوْلِهِ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ فِي قَوْلِهِ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ بِإِيمَانِي بِرَبِّي وَتَصَدِيقِي الْمُرْسَلِينَ وَمَقْصُودُهُ أَنَّهُمْ لَوْ اطَّلَعُوا عَلَى مَا حَصَلَ لِي مِنْ هَذَا الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، فَلَقْدَكَانَ حَرِيصًا عَلَى هِدَايَةِ قَوْمِهِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عبيدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ هُوَ مُحَمَّدٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ يَعْنِي ابْنَ عَمِيرٍ قَالَ: قَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابْعَثْنِي إِلَى قَوْمِي أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ» فَقَالَ: لَوْ وَجَدُونِي نَائِمًا مَا أَيْقِظُونِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انطلق» فَانْطَلَقَ، فَمَرَّ عَلَى اللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ: لَأَصْبِحَنَّكَ غَدًا بِمَا يَسُوؤُكَ، فَعُضِبَتْ ثَقِيفٌ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ ثَقِيفٍ إِنَّ اللَّاتَ لَا لَاتَ وَإِنَّ الْعُزَّى لَا عُزَّى، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، يَا مَعْشَرَ الْأَخْلَافِ إِنَّ الْعُزَّى لَا عُزَّى وَإِنَّ اللَّاتَ لَا لَاتَ، أَسْلِمُوا

تَسَلَّمُوا، قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَتَلَهُ، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «هَذَا مِثْلُهُ كَمِثْلِ صَاحِبِ يَس» قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ.

وَقَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ حَزْمٍ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ، أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ أَخُو بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ الَّذِي كَانَ مُسَيِّمَهُ الْكَذَّابُ قَطَعَهُ بِالْيَمَامَةِ حِينَ جَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْمَعُ، فَيَقُولُ لَهُ مَسِيْمَةُ لَعْنَةُ اللَّهِ: أَتَسْمَعُ هَذَا، وَلَا تَسْمَعُ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَجَعَلَ يُقَطِّعُهُ عُضْوًا عُضْوًا كُلَّمَا سَأَلَهُ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ فِي يَدَيْهِ، فَقَالَ كَعْبٌ حِينَ قِيلَ لَهُ اسْمُهُ حَبِيبٌ: وَكَانَ وَاللَّهِ صَاحِبُ يَسِ اسْمَهُ حَبِيبٌ.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ انْتَقَمَ مِنْ قَوْمِهِ بَعْدَ قَتْلِهِمْ إِيَّاهُ غَضَبًا مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ وَقَتَلُوا وَلِيِّهٖ، وَيَذْكُرُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ وَمَا احتَاجَ فِي إِهْلَاكِهٖ إِيَّاهُمْ إِلَى إِنْزَالِ جُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، بَلِ الْأَمْرُ كَانَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ أَيْ
مَا كَانَتْ أَرْبَابُهُمْ بِالْجُمُوعِ، الْأَمْرُ كَانَ أَيْسَرَ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا
صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ قَالَ: فَأَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْمَلِكِ
الْجَبَّارِ، وَأَهْلَكَ أَهْلَ أَنْطَاكِيَّةَ، فَبَادُوا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ
بَاقِيَةٌ .

وَقِيلَ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ أَيْ وَمَا كُنَّا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْأُمَّمِ إِذَا أَهْلَكْنَا هُمْ
بَلْ نَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَدَاِبًا يَدْمُرُهُمْ، وَقِيلَ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا أَنْزَلْنَا
عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ أَيْ مِنْ رِسَالَةٍ أُخْرَى إِلَيْهِمْ،
قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ. قَالَ قَتَادَةُ: فَلَا وَاللَّهِ مَا عَاتَبَ اللَّهُ قَوْمَهُمْ بَعْدَ قَتْلِهِ
إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالْأَوَّلُ
أَصْحَحُ، لِأَنَّ الرِّسَالَةَ لَا تُسَمَّى جُنْدًا. قَالَ الْمَفْسُورُونَ. بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْهِمْ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي بَابِ بَلَدِهِمْ، ثُمَّ
صَاحَ بِهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ لَمْ يَبْقَ بِهِمْ
رُوحٌ تَتَرَدَّدُ فِي جَسَدٍ

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29)

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانَ بِقَوْلِهِ: إِنْ كَانَتْ الْوَاقِعَةُ إِلَّا صَيِّحَةً وَقَالَ
الرَّمْخَشَرِيُّ أَصْلُهُ إِنْ كَانَ شَيْءٌ إِلَّا صَيِّحَةً فَكَانَ الْأَصْلُ أَنْ يُدْكَرَ،
لِكِنَّةِ تَعَالَى أَنْتَ لِمَا بَعْدَهُ مِنَ الْمُفْسِرِ وَهُوَ الصَّيِّحَةُ.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَاحِدَةً تَأْكِيدٌ لِكُونَ الْأَمْرِ هَيِّئًا عِنْدَ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى سُرْعَةِ الْهَلَاكِ فَإِنْ خَمُودَهُمْ كَانَ مَعَ الصَّيْحَةِ وَفِي وَفَتْهَا لَمْ يَتَأَخَّرْ، وَوَصَفُهُمْ بِالْخُمُودِ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَيَّ فِيهِ الْحَرَارَةُ الْغَرِيْبَةُ وَكُلَّمَا كَانَتْ الْحَرَارَةُ أَوْفَرَ كَانَتْ الْقُوَّةُ الْعَصْبِيَّةُ وَالشَّهْوَانِيَّةُ أَتَمَّ وَهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ، أَمَّا الْعُضْبُ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا مُؤْمِنًا كَانَ يَنْصَحُهُمْ، وَأَمَّا الشَّهْوَةُ فَلِأَنَّهُمْ احْتَمَلُوا الْعَذَابَ الدَّائِمَ بِسَبَبِ اسْتِيفَاءِ اللَّذَاتِ الْحَالِيَّةِ فَإِذَنْ كَانُوا كَالنَّارِ الْمُوقَدَةِ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا جَبَّارِينَ مُسْتَكْبِرِينَ كَالنَّارِ وَمَنْ خُلِقَ مِنْهَا فَقَالَ: فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ وَفِيهِ وَجْهُ آخَرٌ: وَهُوَ أَنَّ الْعَنَاصِرَ الْأَرْبَعَةَ يَخْرُجُ بَعْضُهَا عَنِ طَبِيعَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلِمًا وَيَصِيرُ الْعُنْصُرُ الْآخَرَ بِإِزَادَةِ اللَّهِ فَالْأَحْجَارُ تَصِيرُ مِيَاهًا، وَالْمِيَاهُ تَصِيرُ أَحْجَارًا وَكَذَلِكَ الْمَاءُ يَصِيرُ هَوَاءً عِنْدَ الْعَلْيَانِ وَالسُّخُونَةَ وَالْهَوَاءُ يَصِيرُ مَاءً لِلْبُرْدِ وَلَكِنْ ذَلِكَ فِي الْعَادَةِ بِزَمَانٍ، وَأَمَّا الْهَوَاءُ فَيَصِيرُ نَارًا وَالنَّارُ تَصِيرُ هَوَاءً بِالِاسْتِغَالِ وَالْخُمُودُ فِي أَسْرَعِ زَمَانٍ، فَقَالَ خَامِدِينَ بِسَبَبِهَا فَخُمُودُ النَّارِ فِي السُّرْعَةِ كَأَطْفَاءِ سِرَاجٍ أَوْ شَعْلَةٍ.

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ (30)

ثم قال تعالى: يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ أَيُّ هَذَا وَقْتُ الْحَسْرَةِ فَاحْضُرِي يَا حَسْرَةً وَالتَّنْكِيزُ لِلتَّنْكِيرِ، وَفِيهِ مَسَائِلُ:

المُسْأَلَةُ الْأُولَى: الْأَلْفُ وَاللَّامُ فِي الْعِبَادِ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: لِلْمَعْمُودِ وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ فَيَا حَسْرَةً عَلَى أَوْلَيْكَ وَثَانِيَهُمَا: لِتَعْرِيفِ الْجِنْسِ جِنْسِ الْكُفَّارِ الْمُكْذِبِينَ.

المسألة الثانية: من المتحسر؟ نقول فيه وجوه الأول: لا متحسر أصلاً في الحقيقة إذ المقصود بيان أن ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب.

وهاهنا بحث لغوي: وهو أن المفعول قد يرفض رأساً إذا كان الغرض غير متعلق به يقال إن فلاناً يعطي ويمنع ولا يكون هناك شيء معطى إذ المقصود أن له المنع والإعطاء، ورفض المفعول كثير وما نحن فيه رفضاً فاعل وهو قليل، والوجه فيه ما ذكرنا، إن ذكر المتحسر غير مقصود وإنما المقصود أن الحسرة متحققة في ذلك الوقت الثاني: أن قائل يا حسرة هو الله على الاستعارة تعظيماً للأمر وتوبيلاً له وحينئذ يكون كالألفاظ التي وردت في حق الله كالضحك والبسبان والسخر والتعجب والتهمي، أو نقول ليس معنى قولنا يا حسرة ويا ندامة، أن القائل متحسر أو نادى بل المعنى أنه مخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج إلى تجوز في بيان كونه تعالى قال:

يا حسرة بل يخبر به على حقيقته إلا في النداء، فإن النداء مجاز والمراد الإخبار الثالث: المتلفون من المسلمين والملائكة ألا ترى إلى ما حكى عن حبيب أنه حين القتل كان يقول: اللهم اهد قومي وبعد ما قتلوه وأدخل الجنة قال: يا ليت قومي يعلمون، فيجوز أن يتحسر المسلم للكافر ويتندم له وعليه.

المسألة الثالثة: قرئ يا حسرة بالتثنية، و (يا حسرة العباد) بالإضافة من غير كلمة على، وقرئ يا حسرة على بالهاء إجراءً للوصول مجرى

الْوَقْفِ.

المَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: مَنِ الْمُرَادُ بِالْعِبَادِ؟ نَقُولُ فِيهِ وَجُوهٌ أَحَدَهَا: الرُّسُلُ
الثَّلَاثَةُ كَأَنَّ الْكَافِرِينَ يَقُولُونَ عِنْدَ ظُهُورِ النَّبِيِّ يَا حَسْرَةَ عَلَيْنَا يَا
لَيْتَهُمْ كَانُوا حَاضِرِينَ شَأْنَنَا لِنُؤْمِنَ بِهِمْ وَثَانِيهَا: هُمْ قَوْمٌ حَبِيبٌ وَثَالِثُهَا:
كُلُّ مَنْ كَفَرَ وَأَصْرَرَ وَاسْتَكْبَرَ وَعَلَى الْأَوَّلِ فإِطْلَاقُ الْعِبَادِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
كَمَا فِي قَوْلِهِ: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ [الحجر: 42] وقوله:
يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا [الزمر: 53] وَعَلَى الثَّانِي فإِطْلَاقُ الْعِبَادِ عَلَى
الْكَفَّارِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْعَبْدِ مُطْلَقًا وَبَيْنَ الْمُضَافِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ
الإِضَافَةَ إِلَى الشَّرِيفِ تَكْسُو الْمُضَافَ شَرَفًا تَقُولُ بَيْتُ اللَّهِ فَيَكُونُ فِيهِ
مِنَ الشَّرَفِ مَا لَا يَكُونُ فِي قَوْلِكَ الْبَيْتِ، وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَعِبَادُ
الرَّحْمَنِ [الفرقان: 63] مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ: إِنَّ عِبَادِي [الحجر: 42]
وكذلك عِبَادُ اللَّهِ [الصفات: 74].

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى سَبَبَ الْحَسْرَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَهَذَا سَبَبُ النَّدَامَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ جَاءَهُ مَلِكٌ مِنْ
بَادِيَةٍ، وَأَعْرَفَهُ نَفْسَهُ، وَطَلَّبَ مِنْهُ أَمْرًا هِينًا فَكَذَبَهُ وَلَمْ يَجِبْهُ إِلَّا مَا
دَعَا، ثُمَّ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ فَعَرَفَهُ أَنَّهُ ذَلِكَ، يَكُونُ
عِنْدَهُ مِنَ النَّدَامَةِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ هُمْ مُلُوكٌ وَأَعْظَمُ
مِنْهُمْ بِإِعْزَازِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ وَجَعَلَهُمْ نُوَابِهِ كَمَا قَالَ: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آلِ عِمْرَانَ: 31] وَجَاءُوا وَعَرَفُوا أَنْفُسَهُمْ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُمْ عَظَمَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي الْجِسِّ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ عِنْدَ ظُهُورِ

الْبَاسِ ظَهَرَتْ عَظَمَتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَهُمْ، وَكَانَ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَمْرًا حَيِّنًا نَفَعُهُ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا يَسْأَلُونَ عَلَيْهِ أَجْرًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ النَّدَامَةُ الشَّدِيدَةَ، وَكَيْفَ لَا وَهَمَ لَمْ يَقْتَنِعُوا بِالْإِعْرَاضِ حَتَّى آذَوْا وَاسْتَهْزَؤُوا وَاسْتَخَفُّوا وَاسْتَهَانُوا/ وَقَوْلُهُ: مَا يَأْتِيهِمُ الضَّمِيرُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَائِدًا إِلَى قَوْمٍ حَيِّبٍ، أَيَّ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ الثَّلَاثَةِ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ عَلَى قَوْلِنَا الْحَسْرَةَ عَلَيْهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَائِدًا إِلَى الْكُفَّارِ الْمَصْرِينَ.

قال ابن كثير رحمه الله : وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ هِيَ أَنْطَاكِيَّةٌ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَانُوا رُسُلًا مِنْ عِنْدِ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُذَكَّرْ عَنْ (2) وَاحِدٍ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْمُفَسِّرِينَ غَيْرِهِ، وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ مِنْ وَجُوهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّ ظَاهِرَ الْقِصَّةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا رُسُلَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، لَا مِنْ جِهَةِ الْمَسِيحِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ} إِلَى أَنْ قَالُوا: {رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [يس: 14-17].
وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ لَقَالُوا عِبَارَةً تُنَاسِبُ أَنَّهُمْ مِنْ عِنْدِ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ لَوْ كَانُوا رُسُلَ الْمَسِيحِ لَمَا قَالُوا لَهُمْ: {مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} [يس: 15].

الثَّانِي: أَنَّ أَهْلَ أَنْطَاكِيَّةٍ آمَنُوا بِرُسُلِ الْمَسِيحِ إِلَيْهِمْ، وَكَانُوا أَوَّلَ مَدِينَةٍ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ عِنْدَ النَّصَارَى إِحْدَى الْمَدَائِنِ الْأَرْبَعَةِ

اللَّاتِي فِيهِنَّ بَتَارِكَةٌ، وَهِنَّ الْقُدُسُ لِأَنَّهَا بَلَدُ الْمَسِيحِ، وَأَنْطَاكِيَّةٌ لِأَنَّهَا أَوَّلُ بَلَدَةٍ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ عَنْ آخِرِ أَهْلِهَا، وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةُ لِأَنَّ فِيهَا (3) اصْطَلَحُوا عَلَى اتِّخَاذِ الْبَتَارِكَةِ وَالْمَطَارِنَةِ وَالْأَسَاقِفَةِ وَالْقَسَاوِسَةِ (4) وَالشَّمَامِسَةِ وَالرُّهَابِيْنَ. ثُمَّ رُومِيَّةٌ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ قُسْطَنْطِينِ الَّذِي نَصَرَ دِينَهُمْ وَأَطَدَهُ. وَمَا ابْتَنَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ نَقَلُوا الْبَتْرِكَ مِنْ رُومِيَّةَ إِلَيْهَا، كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ ذَكَرَ تَوَارِيخَهُمْ كَسَعِيدِ بْنِ بَطْرِيْقٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ أَنْطَاكِيَّةَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ آمَنَتْ، فَأَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ كَذَبُوا رُسُلَهُ (5) ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ بِصِيْحَةٍ وَاحِدَةٍ أَحْمَدَتْهُمْ (6) ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الثَّالِثُ: أَنَّ قِصَّةَ أَنْطَاكِيَّةَ مَعَ الْحَوَارِيِّينَ أَصْحَابِ الْمَسِيحِ بَعْدَ نُزُولِ التَّوْرَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعْدَ أَنْزَالِهِ التَّوْرَةَ لَمْ يُهْلِكْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ عَنْ آخِرِهِمْ بَعْدَابٍ يَبْعَثُهُ عَلَيْهِمْ، بَلْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، ذَكَرُوهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى} [الْقَصَصِ: 43]. فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قَرْيَةٌ أُخْرَى غَيْرُ أَنْطَاكِيَّةَ، كَمَا أَطْلَقَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَيْضًا. أَوْ تَكُونُ أَنْطَاكِيَّةُ إِنْ كَانَ لَفْظُهَا مَحْفُوظًا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مَدِينَةً أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الْمَشْهُورَةِ الْمَعْرُوفَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ لَمْ يُعْرَفْ أَنَّهَا أَهْلَكَتْ لَا فَيَا مِلَّةَ النَّصْرَانِيَّةِ وَلَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

فَأَمَّا الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتُرِيُّ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ الْعَسْقَلَانِيُّ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْأَشْقَرُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنِ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «السُّبْقُ ثَلَاثَةٌ: فَالسُّبْقُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُوَسَّعُ بَنَ نُونٍ، وَالسُّبْقُ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَاحِبِ يَسٍ، وَالسُّبْقُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ حُسَيْنِ الْأَشْقَرِ، وَهُوَ شَيْعِيٌّ مَثْرُوكٌ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.²⁹

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (31)
 ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّ حَالَ الْأَوَّلِينَ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَيِ الْبَاقُونَ لَا يَرَوْنَ مَا جَرَى عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ قِيلَ فِي حَقِّهِمْ: يَا حَسْرَةً [يس: 30] هُمُ الَّذِينَ قَالَ فِي حَقِّهِمْ: أَلَمْ يَرَوْا وَمَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ مَهْلِكٍ تَقَدَّمَهُ قَوْمٌ كَذَبُوا وَأَهْلِكُوا إِلَى قَوْمٍ نُوحٍ وَقَبْلَهُ. وَقَوْلُهُ: أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ بَدَلٌ فِي الْمَعْنَى عَنِ قَوْلِهِ: كَمْ أَهْلَكْنَا وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَى: كَمْ أَهْلَكْنَا أَلَمْ يَرَوْا كَثْرَةَ إِهْلَاكِنَا، وَفِيهِ مَعْنَى، أَلَمْ يَرَوْا الْمُهْلِكِينَ الْكَثِيرِينَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ كَبَدَلِ الْإِسْتِمَالِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا

²⁹تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)

يَرْجِعُونَ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ الْمُهْلِكِينَ، أَيُّ أَهْلِكُوا بِحَيْثُ لَا رُجُوعَ لَهُمْ
إِلَيْهِمْ فَيَصِيرُ كَقَوْلِكَ: أَلَا تَرَى زَيْدًا أَدَبَهُ، وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ
لَا يَرْجِعُونَ فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا:

أُهْلِكُوا إِهْلَاكًا لَا رُجُوعَ لَهُمْ إِلَى مَنْ فِي الدُّنْيَا وَثَانِيَهُمَا: هُوَ أَنَّهُمْ لَا
يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ، أَيُّ الْبَاقُونَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْمُهْلِكِينَ بِنَسَبٍ وَلَا وِلَادَةٍ،
يَعْنِي أَهْلِكْنَاهُمْ وَقَطَعْنَا نَسْلَهُمْ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْإِهْلَاكَ الَّذِي يَكُونُ
مَعَ قَطْعِ النَّسْلِ أَتَمُّ وَأَعَمُّ، وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَشْهَرُ نَقْلًا، وَالثَّانِي أَظْهَرَ
عَقْلًا³⁰

وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (32)

لَمَّا بَيَّنَّ الْإِهْلَاكَ بَيَّنَّ أَنَّهُ لَيْسَ مَنْ أَهْلَكَهُ اللَّهُ تَرَكَهُ، بَلْ بَعْدَهُ جَمْعٌ
وَحِسَابٌ وَحَبْسٌ وَعِقَابٌ، وَلَوْ أَنَّ مَنْ أَهْلِكَ تَرَكَ لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً،
وَنَعْمَ مَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تَرَكْنَا ... لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ

وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بَعِثْنَا ... وَنَسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

وَقَوْلُهُ: وَإِنْ كُلُّ لَمَّا فِي إِنْ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمَا مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ
وَاللَّامُ فِي لَمَّا فَارِقَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّافِيَةِ، وَمَا زَائِدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ فِي الْمَعْنَى،

³⁰مفاتيح الغيب = التفسير الكبير

: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب
الري (المتوفى: 606هـ) : دار إحياء التراث العربي - بيروت

وَالْفِرَاءَةُ حِينَئِذٍ بِالتَّخْفِيفِ فِي لَمَّا وَثَانِيهِمَا: أَنَّهَا نَافِيَةٌ وَلَمَّا بِمَعْنَى إِلَّا، قَالَ سِيبَوَيْهِ: يُقَالُ نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَمَّا فَعَلْتَ، بِمَعْنَى إِلَّا فَعَلْتَ، وَالْفِرَاءَةُ حِينَئِذٍ بِالتَّشْدِيدِ فِي لَمَّا، يُؤَيِّدُ هَذَا مَا رُوِيَ أَنَّ أَبِيًّا قَرَأَ وَمَا كَلَّ إِلَّا جَمِيعٌ وَفِي قَوْلِ سِيبَوَيْهِ: لَمَّا بِمَعْنَى إِلَّا وَارِدٌ مَعْنَى مُنَاسِبٌ وَهُوَ أَنَّ لَمَّا كَانَتْهَا حَرْفًا نَفِيًّا جَمْعًا وَهُمَا لَمْ وَمَا فَتَأَكَّدَ النَّفِيُّ، وَلِهَذَا يُقَالُ فِي / جَوَابِ مَنْ قَالَ قَدْ فَعَلَ لَمَّا يَفْعَلُ، وَفِي جَوَابِ مَنْ قَالَ فَعَلَ لَمْ يَفْعَلْ، وَإِلَّا كَانَتْهَا حَرْفًا نَفِيًّا إِنْ وَلَا فَاسْتُعْمِلَ أَحَدُهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ، قَالَ الرَّمَخَشَرِيُّ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ كُلُّ وَجَمِيعٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، فَكَيْفَ جُعِلَ جَمِيعًا خَبْرًا لِكُلِّ حَيْثُ دَخَلَتِ اللَّامُ عَلَيْهِ، إِذِ التَّقْدِيرُ وَإِنْ كُلُّ لَجَمِيعٌ، نَقُولُ مَعْنَى جَمِيعٌ مَجْمُوعٌ، وَمَعْنَى كُلِّ كُلُّ فَرَدٌ بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْحُكْمِ أَحَدٌ، فَصَارَ الْمَعْنَى كُلُّ فَرَدٌ مَجْمُوعٌ مَعَ الْآخَرِ مَضْمُومٌ إِلَيْهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ مُحَضَّرُونَ، يَغْنِي عَمَّا ذَكَرَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: وَإِنْ جَمِيعٌ لَجَمِيعٌ مُحَضَّرُونَ، لَكَانَ كَلَامًا صَحِيحًا وَلَمْ يُوجَدْ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْجَوَابِ، بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّ مُحَضَّرُونَ كَالصِّفَةِ لِلْجَمِيعِ، فَكَانَتْهُ قَالَ جَمِيعٌ جَمِيعٌ مُحَضَّرُونَ، كَمَا يُقَالُ الرَّجُلُ رَجُلٌ عَالِمٌ، وَالنَّبِيُّ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالْوَاوُ فِي وَإِنْ كُلُّ لِعَطْفِ الْحِكَايَةِ عَلَى الْحِكَايَةِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ بَيَّنْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ، وَأَبِينُ أَنْ كَلَّا لَدَيْنَا مُحَضَّرُونَ،

- وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)
 وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)
 لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35) سُبْحَانَ الَّذِي
 خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36)

التفسير: {وَأَيَّةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةَ أَحْيَيْنَاهَا} أي ومن الآيات الباهرة، والعلامات الظاهرة الدالة على كمال قدرة الله ووحدانيته هذه الآية العظيمة، وهي الأرض الياسبة الهامدة التي لا نبات فيها ولا زرع، أحييناها بالمطر قال المفسرون: موتُ الأرض جديها، وإحيائها بالغيث، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ولهذا قال تعالى بعده {وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} أي وأخرجنا بهذا الماء أنواع الحبوب ليتغذوا به ويعيشوا قال القرطبي: نبيهم تعالى بهذا على إحياء الموتى، وذكرهم على توحيدهِ وكمال قدرته، بالأرض الميتة أحيها بالنبات، وإخراج الحب منها، فمن الحبِّ يأكلون وبه يتغذون {وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} أي وجعلنا في الأرض بساتين ناضرة فيها من أنواع النخيل والعنب {وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعَيْونِ} أي وجعلنا فيها ينابيع من الماء العذب، والأنهار السارحة في بلدان كثيرة {لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ} أي لياكلوا من ثمرات ما ذكر من الجنات والنخيل التي أنشأها لهم، ومما عملته أيديهم مما غرسوه وزرعوه بأنفسهم قال ابن كثير: لما امتنَّ على خلقه بإيجاد الزروع لهم، عطف بذكر الثمار وأنواعها وأصنافها، وما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم، لا بسعيهم وكديهم، ولا بحولهم وقوتهم ولهذا قال {أَفَلَا يَشْكُرُونَ} ؟ أي أفلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم؟ واختار ابن جرير أنَّ «ما» بمعنى الذي أي لياكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أي من الذي غرسوه ونصبوه {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} أين تنزهه وتقدس الله العلي

الجميل الذي خلق الأصناف كلها، والمختلفة الألوان والطعوم والأشكال من جميع الأشياء {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} أي ممَّا تُخْرِجُ الْأَرْضُ مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ، وَالزَّرْعِ وَالثَّمَارِ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ، وَمِمَّا لَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَجِيبَةِ وَالْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: 49]

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)

بعد أن استدلل على إمكان البعث والنشور بأحوال الأرض وما يطرأ عليها من تغير مما هو دليل القدرة الشاملة- أردف ذلك ذكر أحوال الأزمنة من اختلاف الليل والنهار وجريان الشمس والقمر والأجرام السماوية، وهي مخلوقات عظيمة واقعة تحت قبضته، يتصرف فيها بعظيم سلطانه.³¹

(وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) أي ومن آيات قدرته الدالة على إمكان البعث والحشر والنشر، وعلى قدرته على فعل كل ما يشاء: الليل ينزع عنه النهار، فتأتي الظلمة، ويذهب

³¹تفسير المراغي. أحمد مصطفى المراغي: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

النهار، فإذا الخلق قد صاروا في ظلمة بمجىء الليل الذي كان الضياء ساترا له.

وفي الضياء سرور ولذة وراحة للنفس، وسعى على الرزق، وفي زواله وحشة وانقباض تشعر بألمه النفوس كما أن فيه تركا للعمل الذي به قوام الحياة، ومن ثم جعل الآية ظهور الليل ولم يجعلها مجيء النهار، والآية تحصل بكل منهما.

والخلاصة- إن تعاقب الليل والنهار على ظهر البسيطة من أكبر الأدلة على قدرة المولى سبحانه، وفيه عبرة لمن يعي ويفهم، وإن البعث والنشور من أيسر الأمور عليه سبحانه³².

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) أي والشمس تجرى حول مركز مدارها الثابت الذي تسير حوله بحسب وضعها النجمي، فقد ثبت أن لها حركة رحوية حول هذا المركز تقدر بمائتي ميل في الثانية، وهذا الوضع العجيب من تقدير العزيز القاهر لعباده، القابض على زمام مخلوقاته، العليم بأحوالها الذي لا تخفى عليه خافية من أمرها.

(وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ) أي وجعلنا لسير القمر منازل، وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل في كل واحد منها كل ليلة ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر، فإذا كان في آخر منازلها دقّ وتقوس، وهذا ما يشير إليه قوله:

³² المرجع السابق

(حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) أي يسير في منازلها إلى آخرها حتى يدق ويتقوس ويصفر ويكون كالعود الذي عليه الشمار يخ إذا أتى عليه الحول.

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) أي لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر في سرعة سيره، لأن الشمس تجرى مقدار درجة في اليوم، والقمر يسير مقدار 13 درجة في اليوم، ولأن لكل منهما مدارا خاصا لا يجتمع مع الآخر فيه.

(وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) أي ولا تسبق آية الليل وهي القمر، آية النهار وهي الشمس فيحل سلطانه محلها، إذ أنهما يجريان بحساب منتظم لا يتغير ولا يتبدل.

(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) أي وكل من: الأرض والشمس والقمر يسبح في فلكه كما يسبح السمك في الماء، فالشمس تجرى في مدارها، والأرض تجرى حول الشمس في سنة وحول نفسها في يوم وليلة، والقمر يجرى حول الأرض كل شهر.

وعلماء الفلك قديما جعلوا الكواكب مركوزة في الأفلاك على ما نراه في كتبهم فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه، بل لا بد له من حامل يحمله وهو الذي يدور به، وكيف يسبح ما لا حرية له ولا قدرة له على السير بل هو محمول على غيره؟

هكذا كان الرأى عندهم، ولكن رأى علماء الفلك المحدثين: أن جميع الكواكب تسير في مدارات في عالم الأثير، فهى إذا كأنها سمك في بحر لحيّ.

فاعجب أيها القارئ الكريم للقرآن كيف أثبت ما دل على صحته الكشفالحديث، ودحض تلك الآراء التي كانت شائعة عصر التنزيل لدى علماء الفلك من اليونان والهند والصين.

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ (43) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (44)

وبعد بيان الدليل المكاني وهو الأرض والأدلة الزمنية الأربعة المتقدمة، أتى تعالى بدليل آخر على قدرته، وهو تسيير الإنسان في البحر كما يسير في البر، كما قال تعالى: وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [الإسراء 17/70] وقال هنا:

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ أَي وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تَسْخِيرَهُ الْبَحْرِ لِيَحْمِلَ السَّفْنَ، وَرُكُوبَ الذَّرِيَّةِ، أَي الْأَوْلَادِ فِي السَّفَنِ الْمَمْلُوءَةِ بِالْبِضَاعِ الَّتِي يَنْقَلِبُونَهَا مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ آخَرَ، لِتَوْفِيرِ الْقَوْتِ وَالْمَعَاشِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ، لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ [لقمان 31/31].

وقيل: الذرية: أبائهم الذين حملوا في سفينة نوح عليه السلام، وهي السفينة المملوءة بالأممعة والحيوانات التي أمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، حفاظا على أصول المخلوقات. والمعنى: أن الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم في سفينة نوح.

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ أَي وخلقنا للناس مثل تلك السفن سفنا برية وهي الإبل، فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبون عليها، لكن قال الرازي: الضمير في مِثْلِهِ عائد إلى الفلك، على قول الأكثرين، فيكون هذا كقوله تعالى: وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا [ص 38 / 58] وعلى هذا فالأظهر أن يكون المراد الفلك الآخر الموجود في زمانهم، وليس المراد الإبل.

ويؤيد هذا قوله تعالى هنا: وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ. ولو كان المراد الإبل، لكان قوله: وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ فاصلا بين متصلين.

ويحتمل أن يعود الضمير إلى معلوم غير مذكور تقديره: من مثل ما ذكرنا من المخلوقات، مثل قوله تعالى هنا: لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وعلى هذا، الآية تشمل كل وسائل النقل الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات. ونظير الآية قوله تعالى: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً، وَيَخْلُقُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ [النحل 8/16].

ودليل رحمته ولطفه تعالى حفظ الركاب في تلك الوسائط، فقال: وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ، فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ، وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ أَي وإن نرد

إغراقهم في الماء مع حمولاتهم، فلا مغيث لهم يغيثهم مما هم فيه، أو ينجيهم من الغرق، ولا هم ينقذون مما أصابهم.

إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ إِلَّا هُنَا: استثناء منقطع، تقديره: ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر، ونحفظكم من الغرق، ونسلمكم إلى أجل مسمى، ونمتعكم بالحياة الدنيا إلى وقت معلوم عند الله عز وجل، وهو الموت.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45)
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (46) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47)

يخبر الله تعالى عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم الماضية، ولا بما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة، فيقول:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَي
وَإِذَا قِيلَ لَهُؤَلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، المكذبين بها: احذروا أن
يصيبكم مثلما أصاب من قبلكم من الأمم، مما هو قدامكم، من
الآفات والنوازل وعذاب الدنيا، وخافوا ما أنتم مقدمون عليه بعد
الهلاك من عذاب الآخرة، إذا أصررتهم على الكفر حتى الموت، لعل
الله يرحمكم باتقائكم ذلك، ويحميكم من عذابه، ويغفر لكم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: اتَّقُوا لَا يَتَّقُونَ.

وليس إعراضهم مقتصرًا على ذلك، بل هم عن كل آية معرضون، كما قال تعالى: وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ أي وما تجيء هؤلاء المشركين آية من آيات الله على التوحيد وصدق الرسل إلا شأنهم الإعراض عنها، وعدم الالتفات إليها، وترك التأمل بها، وعدم الانتفاع بها، لتعطيل طاقة الفكر والنظر المرشد إلى الإيمان وتصديق الرسول ص.

وفضلاً عن سوء الاعتقاد بالله ورسوله ص، تركوا الشفقة على خلق الله، كما قال تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ؟ أي وإذا طلب منهم الصدقة، وأمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج، أجابوا المؤمنين استهزاء بهم، وتهكما بقولهم: هؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم: لو شاء الله لأغناهم، ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم.

وكان هذا الاحتجاج باطلاً، لأن الله تعالى إذا ملك عبداً مالا، ثم أوجب عليه فيه حقاً، فكأنه انتزع ذلك القدر منه، فلا معنى للاعتراض. وقد صدقوا في قولهم: لو شاء الله أطعمهم، ولكن كذبوا في الاحتجاج بذلك.

وقوله: مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ترغيب في الإنفاق، فإن الله رزقكم، فإذا أنفقتم فهو يخلف لكم الرزق ثانياً كما رزقكم أولاً، وهو أيضاً ذم

على البخل الذي هو في غاية القبح، فإن أبخل البخلاء من يبخل بمال الغير، وفي هذا ذم لهم على ترك الشفقة على خلق الله.

ومع هذا كله، عابوا الأمرين لهم بالإنفاق واتهموهم بالضلال، فقالوا تنمة لكلامهم:

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ أَي مَا أَنْتُمْ فِي أَمْرِكُمْ لَنَا بِالْإِنْفَاقِ إِلَّا فِي خَطَأٍ وَاضِحٍ، وانحراف عن جادة الهدى والرشاد. وقوله إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا.. يفيد الحصر. وهذا فهم خطأ من المشركين، لأن حكمة الله اقتضت تفاوت الناس في الرزق، فهو يقبض الرزق عمن يشاء، ويبسطه لمن يشاء، وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ³³ [الشورى 27 / 42] فقد أغنى قوما، وأفقر آخرين، وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالعطاء والشكر: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى [الليل 5 / 92 - 10].

وقال ابن جرير عن قوله تعالى: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ: ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المؤمنين، وردوا عليهم، فقال لهم: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قال ابن كثير: وفي هذا نظر،

³³تفسير المنير

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53) فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54)

يخبر الله تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: وَيَقُولُونَ: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أي ويقول المشركون استعجالا للبعث استهزاء وسخرية وتهكما بالمؤمنين: متى يأتي هذا الوعد بالبعث الذي وعدتمونا به، وتهددونا به، إن كنتم صادقين فيما تقولون وتعدون؟! والخطاب للرسول ص والمؤمنين الذين دعوهم إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر، فأجابهم الله تعالى:

ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ أي ما ينتظرون للعذاب والقيامة إلا نفخة واحدة في الصور، هي نفخة الفزع التي يموت بها جميع أهل الأرض فجأة، وهم يختصمون فيما بينهم في البيع والشراء ونحوهما من أمور الدنيا أي وهم متشاغلون في شؤون الحياة من معاملة وحديث وطعام وشراب وغير ذلك، كما قال تعالى: فَأَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّتِهِمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [الأعراف 7 / 95] وقال سبحانه:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [الزخرف 66/43].

وقوله جل وعز: إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً هي النفخة الأولى في الصور، كما قال عكرمة، ويؤيده ما رواه ابن جرير عن ابن عمر قال: لينفخن في الصور،

والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، حتى إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومانه، فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور، فيصعق به، وهي التي قال الله: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ، وَهُمْ يَخِصِّمُونَ.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ص: «لتقومن الساعة، وقد نشر الرجلان ثوبهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة، والرجل يليط حوضه، فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته (نعجته) ، فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه (فمه) ، فلا يطعمها».

ثم أبان تعالى سرعة حدوث الموت العام أو الصيحة، فقال:

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ أي لا يستطيع بعضهم أن يوصي إلى بعض بما له من أملاك وما عليه من ديون، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم، ولا يتمكنون من الرجوع إلى منازلهم التي كانوا خارجين عنها.

ثم أخبر الله تعالى عن نفخة ثانية هي نفخة البعث والنشور من القبور، فقال:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ أَي وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ ثَانِيَةٌ لِلْبَعْثِ وَالنَّشُورِ مِنَ الْقُبُورِ، فَإِذَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ، يَسْرِعُونَ الْمَشْيَ إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا، كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ [المعارج 43/70].

ثم ذكر ما يطراً عليهم بعد البعث من الأهوال والمخاوف فقال تعالى: قَالُوا: يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا أَي قَالَ الْمُبْعُوثُونَ: يَا هَلَاكُنَا مِنَ الَّذِي بَعَثَنَا مِنْ قُبُورِنَا بَعْدَ مَوْتِنَا؟ وَهِيَ قُبُورِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي دَارِ الدُّنْيَا أَنَّهُمْ لَا يَبْعَثُونَ مِنْهَا، وَظَنُوا لَمَّا شَاهَدُوا مِنَ الْأَهْوَالِ وَمَا اسْتَبَدَّ بِهِمْ مِنَ الْفَزَعِ، أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا.

وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد.

هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ أَي هَذَا مَا وَعَدَ بِهِ اللَّهُ وَصَدَقَ فِي الْإِخْبَارِ عَنْهُ الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلُونَ، فَهَمَّ رَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَاعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ بَعَثُوا مِنَ الْمَوْتِ، وَأَقْرَبُوا بِصَدَقِ الرَّسْلِ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ التَّصَدِيقَ. فَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ رَأْيُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، وَاخْتَارَهُ الشُّوْكَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

واختار ابن جرير وابن كثير أن هذا جواب الملائكة أو جواب المؤمنين، كقوله تبارك وتعالى: وَقَالُوا: يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ. هذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [الصافات 20-21].

ثم أوضح الله تعالى سرعة البعث، فقال:

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ أَي مَا كَانَتْ النَفْخَةُ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا هُمْ أَهْيَاءٌ مَجْمُوعُونَ لَدَيْنَا بِسُرْعَةٍ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ [النازعات 13-14] وقال عز وجل: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ، أَوْ هُوَ أَقْرَبُ [النحل 77].

وأردف بعدئذ ما يكون في ذلك من القضاء العادل، فقال تعالى:

فَالْيَوْمَ لَا تظَلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَي فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا تَبْخَسُ نَفْسٌ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهَا مَهْمَا قَلَّ، وَلَا تَوْفُونَ إِلَّا مَا عَمَلْتُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأُرَائِكِ مُتَكِنُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ (57) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (58)

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا ارْتَحَلُوا مِنْ الْعَرَصَاتِ، فَتَرَلُّوا فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، أَنَّهُمْ فِي شُغْلٍ عَنْ غَيْرِهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ

وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ: فِي شُغْلٍ عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ مِنَ الْعَذَابِ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ أَيُّ فِي نَعِيمٍ مُعْجَبُونَ أَيُّ بِهِ، وَكَذَا قَالَ
قَتَادَةَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَاكِهُونَ أَيُّ فَرِحُونَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا وَسَعِيدُ الْمُسَيَّبِ وَعِكْرِمَةُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالْأَعْمَشُ وَسُلَيْمَانُ
التَّيْمِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي
شُغْلٍ فَاكِهُونَ قَالُوا: شَغَلَهُمْ افْتِضَاضُ الْأَبْكَارِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ أَيُّ بِسَمَاعِ الْأَوْتَارِ، وَقَالَ أَبُو
حَاتِمٍ: لَعَلَّهُ غَلَطَ مِنَ الْمُسْتَمِعِ، وَإِنَّمَا هُوَ افْتِضَاضُ الْأَبْكَارِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ قَالَ مُجَاهِدٌ: وَحَالَئِلَهُمْ، فِي ظِلَالٍ أَيُّ فِي
ظِلَالِ الْأَشْجَارِ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِينُونَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ
وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَخُصَيْفُ الْأَرَائِكِ هِيَ
السُّرُرُ تَحْتَ الْحِجَالِ.

[قُلْتُ] نَظِيرُهُ فِي الدُّنْيَا هَذِهِ التَّخَوْتُ تَحْتَ الْبَشَاخِينِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ أَيُّ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ
أَيُّ مَهْمًا طَلَبُوا وَجَدُوا مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَلَاذِ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ الْجَمْصِيُّ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرٍ
بْنِ دِينَارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَهَاجِرٍ عَنِ الضُّحَّاكِ الْمُعَافِرِيِّ عَنِ
سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى. حَدَّثَنِي كُرَيْبٌ أَنَّهُ سَمِعَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا هَلْ مُشَمَّرٌ إِلَى الْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ كُلُّهَا يَتَأَلَّأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَرُ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَنَهْرٌ مُطَرِّدٌ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَرُوحَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلٌّ كَثِيرَةٌ، وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارِ سَلَامَةٍ، وَفَاكِهِةٌ خَضِرَةٌ وَخَيْرَةٌ وَنِعْمَةٌ فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ» قَالُوا:

نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ الْمُشَمَّرُونَ لَهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالَ الْقَوْمُ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ الرَّهْدِ مِنْ سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَهَاجِرٍ بِهِ.

وقوله تعالى: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفْسَهُ سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ [الأَحْزَابُ: 44]. وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هَاهُنَا حَدِيثًا، وَفِي إِسْنَادِهِ نَظْرٌ، فَإِنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ يُوْسُفَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الْعَبَّادَانِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ الرَّقَاشِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ وَيَبْقَى نُورُهُ وَبِرْكَتُهُ عَلَيْهِمْ وَفِي دِيَارِهِمْ». وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي كِتَابِ السُّنَنِ مِنْ سُنَنِهِ عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ بِهِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا حَزْمَلَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْظِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا فَرَغَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، أَقْبَلَ فِي ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ، قَالَ: فَيَسَلِّمُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، قَالَ الْقُرْظِيُّ، وَهَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَلُونِي، فَيَقُولُونَ: مَاذَا نَسَأَلُكَ أَيُّ رَبِّ؟ قَالَ: بَلَى سَلُونِي، قَالُوا: نَسَأَلُكَ أَيُّ رَبِّ رِضَاكَ، قَالَ: رِضَائِي أُحِلُّكُمْ دَارَ كَرَامَتِي، قَالُوا: يَا رَبِّ فَمَا الَّذِي نَسَأَلُكَ، فَوَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ وَارْتِفَاعِ مَكَانِكَ لَوْ قَسَمْتَ عَلَيْنَا رِزْقَ الثَّقَلَيْنِ لَأَطَعْمَانَهُمْ وَلَا سَقَيْنَاهُمْ وَلَا لَبَسْنَاهُمْ وَلَا أَخْدَمْنَاهُمْ لَا يَنْقُصُنَا ذَلِكَ شَيْئًا. قَالَ تَعَالَى إِنَّ لَدَيَّ مَزِيدًا، قَالَ: فَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ فِي دَرَجِهِمْ حَتَّى يَسْتَوِيَ فِي مَجْلِسِهِ، قَالَ: ثُمَّ تَأْتِيهِمُ التُّحَفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَحْمِلُهُمُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ.

وهذا خبر غريب، أورده ابن جرير من طرق،

وَأَمَّا تَرَاوَا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62)
 هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
 (64) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا
 كَانُوا يَكْسِبُونَ (65) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ
 فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا
 مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ
 (68)

(وَأَمَّا زُورُ الْيَوْمِ أَهْلِهَا الْمُجْرِمُونَ) أي تفرقوا وادخلوا مساكنكم من
 النار، فلم يبق لكم اجتماع بالمؤمنين أبدا، ونحو الآية قوله: «وَيَوْمَ
 نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ
 فَرَيْلْنَا بَيْنَهُمْ» وقوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدِ يَتَفَرَّقُونَ» وقوله:
 «اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ
 فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ».

ولما أمروا بالامتياز وشخصت منهم الأبصار وكلحت الوجوه وتنكست
 الرؤوس قال سبحانه موبخاهم:

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) أي ألم أوصكم
 بما نصبت من الأدلة، ومنحت من العقول، وبعثت من الرسل،
 وأنزلت من الكتب بيانا للطريق الموصل إلى النجاة- أن تتركوا طاعة
 الشيطان فيما يوسوس به إليكم من معصيتي ومخالفة أمري.

ثم علل النهى عن عبادته بقوله:

(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) أي إنه ظاهر العداوة لكم من جراء عداوته لأبيكم آدم من قبل، ولأنه يوبقكم في مهاوى الردى، ويوقعكم في مزلق الهلاك.

ولما منع من عبادة الشيطان أمر بعبادته سبحانه فقال: (وَأَنْ اَعْبُدُونِي) وحدي، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه. ثم بين أن ما أمر به ونهى عنه طريق معبّد واضح لا لبس فيه ولا خفاء فقال:

(هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أي هذا الذي نهيتكم عنه من عبادة الشيطان، وأمرتكم به من عبادة الرَّحْمَنِ، هو الصراط المستقيم، لكنكم سلكتم غيره فوقعتم في مزلق الضلال وترديتم في مهاوى الردى.

وبعد أن نههم إلى أنهم نقصوا العهد وبخهم على عدم اتعاظهم بغيرهم ممن أوقعهم الشيطان في المهالك، وكانت عاقبتهم ما يرون من سوء المنقلب في الدنيا والآخرة فقال:

(وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) أي ولقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتي وإفرادي بالألوهية فاتخذوا من دوني آلهة يعبدونها.

ثم زاد في توبيخهم والإنكار عليهم فقال:

(أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ؟) أي فلم يكن لكم عقل فترتدعوا عن مثل ما كانوا عليه كي لا يحيق بكم من العذاب مثل ما حاق بهم.

وبعد أن أتّبوا ووبّخوا بما سلف خوطبوا بما يزيدهم حسرة وألما فقليل لهم:

(هذه جهنّم التي كنتم تُوعِدُونَ) أي هذه هي جهنم التي كنتم توعدون بها على ألسنة الرسل والمبلّغين عنهم إذا أنتم اتبعتم وساوس الشيطان، وعصيتم الرّحمن، وعبدتم من دونه الأصنام والأوثان، واجترحتم الفسوق والعصيان.

ثم أمرهم أمر إهانة وتحقير لهم بقوله:

(اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) أي احترقوا بها اليوم، وقاسوا حرها الشديد بسبب جحودكم بها في الدنيا، وتكذيبكم إياها، بعد أن نهيتهم فلم تنتهبوا، وأوقظتم فلم تستيقظوا.

وخلاصة ذلك- إنه قد ذكر ما يوجب الحزن والأسى من وجوه ثلاثة:

(1) إنه أمرهم أمر تنكيل وإهانة نحو قوله لفرعون: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» .

(2) إنه ذكر لفظ (اليَوْمَ) الذي يدل على أن العذاب حاضر وأن لذاتهم قد مضت وبقي العذاب اليوم.

(3) إن قوله بما كنتم تكفرون يومئ إلى أن هناك نعمة قد كانت فكفروا بها، وحياء الكفور من المنعم أشد ألما وأعظم مضاضة كما قيل:

أليس بكاف لذى همة ... حياء المسيء من المحسن

ثم بين أنهم في هذا اليوم لا يستطيعون دفاعا عن أنفسهم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم فقال:

(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أي ففى هذا اليوم ينكر الكافرون ما اجترحوا فى الدنيا من الشرور والآثام، ويحلفون أنهم ما فعلوا كما حكى الله عنهم من قولهم: «وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» فيختم على أفواههم فلا تنطق ببنت شفة، ويستنطق جوارحهم بما اجترمت من الفسوق والعصيان الذي لم يتوبوا عنه.

ونسب الكلام إلى الأيدي والشهادة إلى الأرجل، من قبل أن الأولى لها مزيد اختصاص بمباشرة الأعمال، ومن ثم كثر نسبة العمل إليها فى نحو قوله: «وَمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ»

وقوله: «وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ» وقوله: «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» ولا كذلك الثانية فكانت الشهادة بها أنسب، إذ هى كالأجنبية منها.

وجاء فى الخبر: «يقول العبد يوم القيامة إنى لا أجد علىّ شاهدا إلا من نفسى، فيختم الله على فيه ويقول لأركانته: انطقى، فتنطق بأعماله. ثم يخلى بينها وبين الكلام فيقول بعدا لكنّ وسحقا، فعنكنّ كنت أناضل.»

وإذا كان المرء فى دار الدنيا المملوءة أكاذيب ونفاقا يخجل فيحمرّ وجهه، ويوجل فيصفرّ وجهه ويتخذ القضاة من ذلك أدلة على إدانة المتهم. كما نقص آثار أقدام اللصوص والجنّاة وتبعهم فى السهل

والجبل حتى إذا عثرنا عليهم قدمناهم للقضاء بشهادة هذه الآثار التي لا اشتباه فيها، كذلك نختم بأصابع المجرمين على الورق (البصمة) فلا تشاكل يد يدا، مما يجعل لذلك أجلّ قيمة في خدمة العدالة.

وإذا كان هذا في عالمنا الجسماني فما بالك بعالم الأرواح التي يكون فيها لكل ذنب أو عمل حسن أثر في النفوس يولد فيها الخير أو الشر، حتى إذا انفصلت الأرواح من الأجساد ظهر ما انطبع فيها من خير أو شر؟ وإلى هذا يشير قوله تعالى ذاكرا حال الحساب يوم القيامة: «اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» فالنفس إذا هي الكتاب الذي لا غش فيه ولا كذب، فإذا صمت اللسان نطقت الجوارح كما ننطق آثارها اليوم، أي تدل على المراد أفصح دلالة، وترشد إلى المقصود أيما إرشاد، وهذا هو الذي ينبغي أن يفهم في الآية الكريمة.

ثم بين سبحانه أنه قادر على إذهاب الأبصار، كما هو قادر على إذهاب البصائر فقال:

(وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ) أي ولو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم، فبصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا، ولا يهتدون إلى شيء.

وإجمال المراد: لو شئنا لأذهبنا أحداقهم، فلو أرادوا الاستباق وسلوك الطريق الذي اعتادوا سلوكه لم يستطيعوا ذلك.

ثم زاد في تهديدهم وتوبيخهم وبيان أنه قادر على منعهم من الحركة فقال:

(وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِضِيًّا وَلَا يُرْجَعُونَ) أي ولو أردنا لحولناهم عن تلك الحال إلى ما هو أقيح منها، فجعلناهم قردة وخنازير وهمضى مساكنهم التي يجترحون فيها السيئات، فلا يقدرّون على ذهاب ولا مجيء ولا غدوّ ولا رواج.

ثم شرع يقطع معذرة لهم ربما احتجوا بها وهي قولهم: إنهم لو عمّروا لأحسنوا العمل فقال:

(وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) أي إنه كلما طال عمر المرء رد إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط.

(أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟) أنهم كلما تقدمت بهم السن ضعفوا وعجزوا عن العمل، فلو عمّروا أكثر مما عمروا ما ازدادوا إلا ضعفا، فلا يستطيعون أن يصلحوا ما أفسدوا في شبابهم، وقد عمرناهم مقدار ما يتمكنون من البحث والتفكير، والترؤى في عواقب الأمور ومصايرها، فلم يفعلوا، وجاءتهم النذر فلم يهتدوا، فمهما طالّت أعمارهم فلن يفيدهم ذلك، ولن يصلح من حالهم قليلا ولا كثيرا.

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (69)

في الترتيبِ وَجْهَانِ، اعلم أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ أَصْلَيْنِ مِنَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ الْوَحْدَانِيَّةُ وَالرِّسَالَةُ وَالْحَشْرُ، ذَكَرَ الْأَصْلَ

الثَّالِثَ مِنْهَا، وَهَاهُنَا ذَكَرَ الْأَصْلَيْنِ الْوَحْدَانِيَّةَ وَالْحَشْرَ، أَمَّا الْوَحْدَانِيَّةُ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ [يس: 60] وَفِي قَوْلِهِ: وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [يس: 61] وَأَمَّا الْحَشْرُ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: اصْلَوْهَا الْيَوْمَ [يس: 64] وَفِي قَوْلِهِ: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ [يس: 65] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَلَمَّا ذَكَرَهُمَا وَبَيَّنَّهُمَا ذَكَرَ الْأَصْلَ الثَّالِثَ وَهُوَ الرِّسَالَةُ فَقَالَ: وَمَا عَلَّمْنَاهُ السِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ وَقَوْلُهُ: وَمَا عَلَّمْنَاهُ السِّعْرَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مُعَلِّمٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَعَلَّمَهُ مَا أَرَادَ وَلَمْ يُعَلِّمَهُ مَا لَمْ يُرِدْ، وَفِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مَبَاحِثٌ:

الْبَحْثُ الْأَوَّلُ: حُصَّ السِّعْرُ بِنَفْيِ التَّعْلِيمِ، مَعَ أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَنْسُبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَشْيَاءَ مِنْ جُمْلَتِهَا السِّحْرَ، وَلَمْ يَقُلْ وَمَا عَلَّمْنَاهُ السِّحْرَ وَكَذَلِكَ كَانُوا يَنْسُبُونَهُ إِلَى الْكِبَانَةِ، وَلَمْ يَقُلْ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الْكِبَانَةَ، فَنَقُولُ أَمَّا الْكِبَانَةُ فَكَانُوا يَنْسُبُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا عِنْدَ مَا كَانَ يُخْبِرُ عَنِ الْغُيُوبِ وَيَكُونُ كَمَا يَقُولُ. وَأَمَّا السِّحْرُ فَكَانُوا يَنْسُبُونَهُ إِلَيْهِ عِنْدَ مَا كَانَ يَفْعَلُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْغَيْرُ كَشَقِّ الْقَمَرِ وَتَكْلُمِ الْحَصَى وَالْجِدْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الشَّعْرَ فَكَانُوا يَنْسُبُونَهُ إِلَيْهِ عِنْدَ مَا كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ عَلَّمِهِمْ لِكِنَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ يَتَحَدَّى إِلَّا بِالْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ [البقرة: 23] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقُلْ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي فَاَنْطِقُوا الْجُدُوعَ أَوْ أَشْبِعُوا الْخَلْقَ الْعَظِيمَ أَوْ أَخْبِرُوا بِالْغُيُوبِ، فَلَمَّا كَانَ تَحْدِيثُهُ صَلَّى اللَّهُ

عليه وآله وسلّم بالكلام وكانوا ينسبونه إلى الشعر عند الكلام خصّ
الشعر بنفي التعليم.

البحث الثاني: ما معنى قوله: وما ينبغي له؟ قلنا قال قوم ما كان
يتأتى له، وآخرون ما يتسهّل له حتّانّه إن تمثّل بيت شعر سمع منه
مُزاحفًا

يُروى أنّه كان يقول صلى الله عليه وآله وسلّم: «ويأتيك من لم تزود
بالأخبار» .

وفيه وجه أحسن من ذلك وهو أن يُحمل ما ينبغي له على مفهومه
الظاهر وهو أن الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له، وذلك لأنّ الشعر
يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن، فالشاعر يكون اللفظ
منه تبعًا للمعنى، والشاعر يكون المعنى منه تبعًا للفظ، لأنه يقصد
لفظًا به يصحّ وزن الشعر أو قافيته فيحتاج إلى التحيل لمعنى يأتي به
لأجل ذلك اللفظ، وعلى هذا نقول: الشعر هو الكلام الموزون الذي
قصد إلى وزنه قصدًا أوليًا، وأما من يقصد المعنى فيصدر مؤزونا
مقفي فلا يكون شاعرًا، ألا ترى إلى قوله تعالى: لن تنالوا البرّ حتى
تنفقوا ممّا تحبون [آل عمران: 92] ليس بشعر، والشاعر إذا صدر
منه كلام فيه متحرّكات وساكنات بعدد ما في الآية تقطيعه بقاعلاتن
فَاعِلَاتُنْ يكون شعرًا لأنه قصد الإتيان بالفاظ حروفها متحرّكة
وساكنة كذلك والمعنى تبعه، والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك
الألفاظ، وعلى هذا يحصل الجواب

عَنْ قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ بَيَّتَ شِعْرٍ وَهُوَ قَوْلُهُ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

أَوْ بَيَّتَيْنِ لِأَنَّا نَقُولُ ذَلِكَ لَيْسَ بِشِعْرٍ لِعَدَمِ قَصْدِهِ إِلَى الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ، وَعَلَى هَذَا لَوْ صَدَرَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَلَامٌ كَثِيرٌ مَوْزُونٌ مُقَمَّى لَا يَكُونُ شِعْرًا، لِعَدَمِ قَصْدِهِ اللَّفْظَ قَصْدًا أَوَّلِيًّا، وَيُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْنَا أَنَّكَ إِذَا تَتَبَعْتَ كَلَامَ النَّاسِ فِي الْأَسْوَاقِ تَجِدُ فِيهِ مَا يَكُونُ مَوْزُونًا وَاقِعًا فِي بَحْرِ مِنْ بُحُورِ الشِّعْرِ وَلَا يُسَمَّى الْمُتَكَلِّمُ بِهِ شَاعِرًا وَلَا الْكَلَامُ شِعْرًا لِفَقْدِ الْقَصْدِ إِلَى اللَّفْظِ أَوَّلًا، ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ يُحَقِّقُ ذَلِكَ الْمَعْنَى أَيْ هُوَ ذِكْرٌ وَمَوْعِظَةٌ لِلْقَصْدِ إِلَى الْمَعْنَى، وَالشِّعْرُ لَفْظٌ مُرْخَرَفٌ بِالْقَافِيَةِ وَالْوِزْنِ وَهَاهُنَا لَطِيفَةٌ: وَهِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ لِحِكْمَةٌ»

يَعْنِي قَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ اللَّفْظَ فَيُؤَافِقُهُ مَعْنَى حِكْمِيٌّ كَمَا أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقْصِدُ مَعْنَى فَيُؤَافِقُهُ وَزْنَ شِعْرِيٌّ، لَكِنَّ الْحَكِيمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْوِزْنِ لَا يَصِيرُ شَاعِرًا وَالشَّاعِرَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذِّكْرِ يَصِيرُ حَكِيمًا حَيْثُ سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شِعْرَهُ حِكْمَةً، وَنَفَى اللَّهُ كُونَ النَّبِيِّ شَاعِرًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّفْظَ قَالِبُ الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى قَلْبُ اللَّفْظِ وَرُوحُهُ فَإِذَا وُجِدَ الْقَلْبُ لَا نَظَرَ إِلَى الْقَالِبِ، فَيَكُونُ الْحَكِيمُ الْمَوْزُونُ كَلَامُهُ حَكِيمًا، وَلَا يُخْرِجُهُ عَنِ الْحِكْمَةِ وَزْنَ كَلَامِهِ، وَالشَّاعِرُ الْمَوْعِظُ كَلَامُهُ حَكِيمًا.

لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70)

قرئ بالتاء والياء، بالتاء خطابا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وبالياء على وجهين أحدهما: أن يكون المنذر هو النبي صلى الله عليه وآله وسلّم حيث سبق ذكره في قوله: وما علمناه [يس: 69] وقوله: وما ينبغي له [يس: 69]. وثانيهما: أن يكون المراد أن القرآن ينذر والأول أقرب إلى المعنى والثاني: أقرب إلى اللفظ، أما الأول فلأن المنذر صفة للرسل أكثر ورودا من المنذر صفة للكاتب وأما الثاني: فلأن القرآن أقرب المذكورين إلى قوله: ليُنذِرَ وقوله: مَنْ كَانَ حَيًّا أي مَنْ / كَانَ حَيَّ الْقَلْبِ، وَيَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَنْ كَانَ حَيًّا فِي عِلْمِ اللَّهِ فَيُنذِرُهُ بِهِ فَيُؤْمِنُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لِيُنذِرَ بِهِ مَنْ كَانَ حَيًّا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، أَي مَنْ آمَنَ فَيُنذِرُهُ بِمَا عَلَى الْمُعَاصِي مِنَ الْعِقَابِ وَبِمَا عَلَى الطَّاعَةِ مِنَ الثَّوَابِ وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ أَمَا قَوْل الْعَذَابِ وَكَلِمَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [السَّجْدَةِ: 13] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ [الرُّمْرِ: 71] وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإِسْرَاءِ: 15] فَإِذَا جَاءَ حَقَّ التَّعْذِيبِ عَلَى مَنْ وُجِدَ مِنْهُ التَّكْذِيبُ، وَأَمَا الْقَوْلُ الْمُقُولُ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْحَشْرِ وَسَائِرِ الْمَسَائِلِ الْأُصُولِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ ذِكْرُ الدَّلَائِلِ الَّتِي يَهَيِّئُهَا الْمَطَالِبُ.

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71)
وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72)

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَعَادَ الْوَحْدَانِيَّةَ وَدَلَائِلَ دَالَّةً عَلَيْهَا فَقَالَ تَعَالَى: أَوْلَمْ يَرَوْا
أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا أَيُّ مِنْ جُمْلَةٍ مَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا
أَيُّ مَا عَمِلْنَاهُ مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ بَلْ عَمِلْنَاهُ بِقُدْرَتِنَا وَإِرَادَتِنَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ إِشَارَةٌ إِلَى إِتِمَامِ الْإِنْعَامِ فِي خَلْقِ الْأَنْعَامِ،
فَإِنَّهُ تَعَالَى لَوْ خَلَقَهَا وَلَمْ يُمْلِكْهَا الْإِنْسَانَ مَا كَانَ يَنْتَفِعُ بِهَا.

وَقَوْلُهُ: وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ زِيَادَةً إِنْعَامٍ فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ إِذَا كَانَ آيِبًا مُتَمَرِّدًا لَا
يَنْفَعُ، فَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ يَمْلِكُ الْأَنْعَامَ وَهِيَ نَادَةٌ صَادَةٌ لَمَا تَمَّ الْإِنْعَامُ
الَّذِي فِي الرُّكُوبِ وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ الْأَكْلُ كَمَا فِي الْحَيَوَانَاتِ الْوَحْشِيَّةِ،
بَلْ مَا كَانَ يَكْمُلُ نِعْمَةُ الْأَكْلِ أَيْضًا إِلَّا بِالتَّعَبِ الَّذِي فِي الْإِصْطِيَادِ،
وَلَعَلَّ ذَلِكَ لَا يَتَهَيَّأُ [إِلَّا] لِلْبَعْضِ وَفِي الْبَعْضِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ بَيَانٌ لِمَنْفَعَةِ التَّدْلِيلِ إِذْ لَوْلَا
التَّدْلِيلُ لَمَا وَجِدَتْ إِحْدَى الْمُنْفَعَتَيْنِ وَكَانَتِ الْأُخْرَى قَلِيلَةَ الْوَجُودِ.

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73)

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى غَيْرَ الرُّكُوبِ وَالْأَكْلِ مِنَ الْفَوَائِدِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَهُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ مَا لَا يُرْكَبُ كَالْغَنَمِ فَقَالَ
مَنَافِعُ لِتَعَمُّمِهَا وَالْمَشَارِبُ كَذَلِكَ عَامَّةً، إِنْ قُلْنَا بِأَنَّ الْمُرَادَ جَمْعُ مَشْرَبٍ
وَهُوَ الْأَنْبِيَّةُ فَإِنَّ مِنَ الْجُلُودِ مَا يُتَّخَذُ أَوَانِيٍّ لِلشَّرْبِ وَالْأَدْوَاتِ مِنَ الْقِرْبِ

[وَعَیْرِهَا] ، وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ الْمُرَادَ الْمَشْرُوبُ وَهُوَ الْأَلْبَانُ وَالْأَسْمَانُ فَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالْإِنَاثِ وَلَكِنْ بِسَبَبِ الذُّكُورِ فَإِنَّ ذَلِكَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الْحَمْلِ وَهُوَ بِالذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: أَفَلَا يَشْكُرُونَ هَذِهِ النِّعَمُ الَّتِي تُوجِبُ الْعِبَادَةَ شُكْرًا، وَلَوْ شَكَرْتُمْ لَزَادَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَوْ كَفَرْتُمْ لَسَلَّمْنَا مِنْكُمْ، فَمَا قَوْلُكُمْ، أَفَلَا تَشْكُرُونَ استدامة لها واستزادة فيها؟.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (74)

إِشَارَةٌ إِلَى بَيَانِ زِيَادَةِ ضَلَالِهِمْ وَنَهَائِيَّتِهَا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا وَاجِبِينَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ شُكْرًا لِأَنْعَمِهِ، فَتَرَكُوهَا وَأَقْبَلُوا عَلَى عِبَادَةِ مَنْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَتَوَقَّعُوا مِنْهُ النُّصْرَةَ مَعَ أَنَّهُمْ هُمُ النَّاصِرُونَ لَهُمْ كَمَا قَالَ عَنْهُمْ: حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ [الأنبياء: 68] وَفِي الْحَقِيقَةِ لَا هِيَ نَاصِرَةٌ وَلَا مَنْصُورَةٌ. وقوله تعالى:

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ (75)

إِشَارَةٌ إِلَى الْحَشْرِ بَعْدَ تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ [الأنبياء: 98] وَقَوْلِهِ: احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ [الصفات: 22، 23] وقوله: فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحَضَّرُونَ [سبأ: 38] وَهُوَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْأَصْنَامُ جُنْدًا لِلْعَابِدِينَ، وَعَلَى هَذَا فَفِيهِ مَعْنَى لَطِيفٌ وَهُوَ أَنَّ تَعَالَى

لَمَّا قَالَ: لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ أَكَّدَهَا بِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ
حَالَ مَا يَكُونُونَ جُنْدًا لَهُمْ وَمَحْضَرُونَ لِنَصْرَتِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ دَالٌّ عَلَى
عَدَمِ الْإِسْطَاعَةِ، فَإِنَّ مَنْ حَضَرَ وَاجْتَمَعَ ثُمَّ عَجَزَ عَنِ النَّصْرَةِ يَكُونُ
فِي غَايَةِ الضَّعْفِ بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَتَاهِبًا وَلَمْ يَجْمَعْ أَنْصَارَهُ.

فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (76) أَوْلَمْ يَرَ
الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78)

ثم سأل رسول الله على ما يلقاه من قومه من الأذى بنحو قولهم: هو
شاعر، وهو ساحر، وهو كاهن إلى نحو ذلك من مقالاتهم التي كانوا
يجاهون بها الرسول إرادة تحقيره وإهانته فقال:

(فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ) أي فلا يحزنك أيها الرسول قول هؤلاء المشركين
من قومك: إنك شاعر وما جئتنا به شعر، ولا تكذبيهم بآيات الله
وجحودهم نبوتك.

ثم ذكر أنه سيجازيهم على ما يضمرون في نفوسهم ويتفوهون به
بألسنتهم فقال:

(إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) أي إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى
قيل ذلك إنما هو الحسد، وأنهم يعتقدون أن الذي جتتهم به ليس
بشعر ولا يشبه الشعر، وأنك لست بكذاب.

والخلاصة- إنا نعلم ما يسرون من معرفتهم حقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحود ذلك بألسنتهم علانية، وسنجزيهم وصفهم ونعاملهم بما يستحقون يوم يجدون جليل أعمالهم وحقيرتها حاضرا لديهم.

(أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) أي أولا يستدل من أنكر البعث بسهولة المبدأ على سهولة الإعادة، فإن من بدأ خلق الإنسان منسالة من ماء مهين، ثم جعله بشرا سويا يخاصم ربه فيما قال: إني فاعل، فيقول: من يحيى العظام وهي رميم؟ إنكارا منه لقدرته على إحيائها- قادر على إعادته بعد موته وحسابه وجزائه على أعماله.

ونحو الآية قوله: «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ» وقوله: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ» أي من نطفة من أخلاط متفرقة.

والخلاصة- إنه تعالى خلق للانسان ما خلق من النعم ليشكر، فكفر وجدد المنعم والنعم، وخلقه من نطفة قدرة مذرة ليكون متذلا، فطغى وبغى وتجبر، وخاصم ربه واستبعد البعث والإعادة.

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟) أي وذكر أمرا عجيبا ينفي به قدرتنا على إحياء الخلق، فقال: من يحيى العظام؟ ونسى خلقنا له، أفلم يكن نطفة فجعلناه خلقا سويا

ناطقًا؟ ولا شك أن من فعل ذلك لا يعجزه أن يعيد الأموات أحياء،
والعظام الرميم بشرا كهيئتهم التي كانوا عليها قبل الفناء.

وإجمال ذلك- إن بعض المشركين استبعدوا إعادة الله ذى القدرة
العظيمة التي خلقت السموات والأرض للأجساد والعظام الرميم،
ونسوا أنفسهم وأنه تعالى خلقهم من العدم، فكيف هم بعد هذا
يستبعدون أو يجحدون؟.

ونحو الآية حكاية عن المشركين: «وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي
خَلْقٍ جَدِيدٍ؟» وقوله أيضا على طريق الحكاية «إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَوْ أَبَاؤُنَا، الْأَوْلُونَ» .

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي
جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (80) أَوَلَيْسَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
(82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)

(قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) أي قل أيها
الرسول لهذا المشرك القائل لك: من يحيى العظام وهي رميم؟ يحييها
الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيئا وهو العليم بالعظام، وأين
تفرقت في سائر أقطار الأرض؟ وأين ذهبت؟

لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه، فهو يعيده على النمط السابق
والأوضاع التي كان عليها مع قواه السالفة.

وكان الفيلسوف الإسلامي الملقَّب بالفارابي يقول. وددت لو أن أرسطو وقف على القياس الجليّ في قوله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا) الآية، إذ تفصيله: الله أنشأ العظام وأحيها أول مرة، وكل من أنشأ شيئاً أولاً قادر على إنشائه وإحيائه ثانياً- ونتيجة هذا- الله قادر على إنشائها وإحيائها بقواها ثانياً اهـ.

ولا شك أن الفارابي إنما يريد القياس الذي يفهمه اليوناني باصطلاحه المنطقي، وإلا ففى الآية قياس فهمه العربي على أسلوبه في التخاطب الذي يجرى عليه ويقتنع به، ولكل أمة أساليب في الإقناع والحجاج تسير عليها وتسلك سبيلها، وقد اقتنع الكثير من العرب بما جاء به في هذا، ومن جحد فإنما فعل ذلك عنادا واستكبارا.

ثم ذكر دليلاً ثانياً يرفع استبعادهم ويبطل إنكارهم فقال:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) أي وهو الذي بدأ خلق الشجر من ماء حتى صار أخضر ناضراً ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار، ومن فعل ذلك فهو قادر على ما يريد لا يمنعه شيء، إذ من أحدث النار في الشجر الأخضر على ما فيه من المائية المضادة للاحتراق، فهو أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضاً فيبس وبلى.

ثم زكى ذلك بدليل ثالث على قدرته أعجب من سابقه فقال:

(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) يقول تعالى منها هذا الكافر الذي قال: من يحيي العظام وهي رميم؟ إلى خطأ قوله، وعظيم جهله، بأن خلق مثلكم من العظام الرميم- ليس بأعظم من خلق السموات والأرض، وإذا لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم منكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمّت وبليت؟.

والخلاصة- إنه تعالى نبّه إلى عظيم قدرته على خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال وقفار وما بين ذلك، وإلى أن الذي قدر على إيجاد هذه العوالم العظيمة- قادر على إعادة الأجساد بعد البلى.

ونحو الآية قوله: «لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» وقوله:

«أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ؟ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

ثم ذكر ما هو كالنتيجة لما سلف من تقرير واسع قدرته، وإثبات عظيم سلطانه فقال:

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أي إنما شأنه تعالى في إيجاد الأشياء أن يقول لما يريد إيجاده: تَكُونُ فيتكُون ويحدث فورا بلا تأخير.

وهذا ولا شك تمثيل لتأثير قدرته فيما يريد، بأمر المطاع لمن يطيعه في حصول الأمور به بلا توقف ولا افتقار إلى مزاولة عمل ولا استعمال آلة.

وبعد أن أثبت لنفسه القدرة التامة والسلطة العامة، نزه نفسه عما وصفوه به، وعجّب السامعين مما قالوه فقال:

(فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) أي تنزه ربنا الحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض- عن كل سوء.

(وَالِيهِ تُرْجَعُونَ) أي وإليه يرجع العباد يوم المعاد، فيجازى كل عامل بما عمل، وهو العادل المنعم المتفضل.

قال سيد قطب: في هذا القطاع الأخير من السورة تستعرض كل القضايا التي تعالجها السورة . . قضية الوحي وطبيعته وقضية الألوهية والوحدانية . وقضية البعث والنشور . . تستعرض في مقاطع مفصلة . مصحوبة بمؤثرات قوية في إيقاعات عميقة . كلها تتجه إلى إبراز يد القدرة وهي تعمل كل شيء في هذا الكون وتمسك بمقاليد الأمور كلها . ويتمثل هذا المعنى مركزاً في النهاية في الآية التي تختتم السورة : { فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون . . . } فهذه اليد القوية المبتدعة خلقت الأنعام للبشر وذلتها لهم . وهي خلقت الإنسان من نطفة . وهي تحيي رميم العظام كما أنشأتها أول مرة . وهي جعلت من الشجر الأخضر ناراً . وهي أبدعت السموات

والأرض . وفي النهاية هي مالكة كل شيء في هذا الوجود . . وذلك قوام هذا المقطع الأخير . .

{ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين } . .

وردت قضية الوحي في أول السورة : { يس والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوماً ما أنذروا أبائهم فهم غافلون . . . } والآن تجيء في صورتها هذه للرد على ما كان يدعيه بعضهم من وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر؛ ووصف القرآن الذي جاء به بأنه شعر .

وما كان يخفى على كبراء قريش أن الأمر ليس كذلك . وأن ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم قول غير معهود في لغتهم . وما كانوا من الغفلة بحيث لا يفرقون بين القرآن والشعر . إنما كان هذا طرفاً من حرب الدعاية التي شنوها على الدين الجديد وصاحبه صلى الله عليه وسلم في أوساط الجماهير . معتمدين فيها على جمال النسق القرآني المؤثر ، الذي قد يجعل الجماهير تخلط بينه وبين الشعر إذا وجهت هذا التوجيه .

وهنا ينفي الله سبحانه أنه علم الرسول الشعر . وإذا كان الله لم يعلمه فلن يعلم . فما يعلم أحد شيئاً إلا ما يعلمه الله . .

ثم ينفي لياقة الشعر بالرسول صلى الله عليه وسلم : { وما ينبغي له { فللشعر منهج غير منهج النبوة . الشعر انفعال . وتعبير عن هذا

الانفعال . والانفعال يتقلب من حال إلى حال . والنبوة وحي . على منهج ثابت . على صراط مستقيم . يتبع ناموس الله الثابت الذي يحكم الوجود كله . ولا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء الطارئة ، تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة التي لا تثبت على حال .

والنبوة اتصال دائم بالله ، وتلق مباشر عن وحي الله ، ومحاولة دائمة لرد الحياة إلى الله . بينما الشعر في أعلى صوره أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال مشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته .³⁴

أهم مقاصد هذه السورة

- (1) بيان أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله حقا، وأنه نذير للأميين وغيرهم.
- (2) المنذرون من النبي صلى الله عليه وسلم صنفان: صنف ميثوس من صلاحه، وآخر قد سعى لفلاحه.
- (3) أعمال الفريقين تحصي عليهم، فتحفظ أخبارهم، وتكتب آثارهم.
- (4) ضرب المثل لهم بأهل أنطاكية، إذ كذبوا الناصح لهم وقتلوه فدخلوا النار ودخل الجنة بما قدم من إيمان وعمل صالح وهداية وإرشاد.

³⁴: في ظلال القرآن: سيد قطب

- (5) الدليل الطبيعي والعقلي على البعث.
- (6) تبيان قدرة الله ووحدانيتته وعلمه ورحمته الشاملة.
- (7) جزاء الجاحدين على كفرانهم أنعم الله عليهم وسرعة أخذهم وندمهم حين معاينة العذاب.
- (8) الجنة ونعيمها وما أعد للمؤمنين فيها.
- (9) توبيخ الكافرين على اتباعهم همزات الشياطين.
- (10) قدرته تعالى على مسخهم في الدنيا وطمس أعينهم.
- (11) الانتفاع بالأنعام في المأكل والمشرب والملبس.
- (12) إثبات البعث بما أقامه من أدلة في الآفاق والأنفس.

الأسئلة

1. أهمية سورة يس
2. ماذا قال الشعراوي رحمه الله في إعجاز القرآن بالحروف المقطعة
3. الآراء في معنى يس
4. فسر كما فسر المراغي : لقد حق القول.....فهم لا يبصرون
5. قصة المرسلين والمرسل إليهم في سورة يس
6. ما أفاد ابن كثير رحمه الله في تاريخية قصة المرسلين في يس
7. المسائل التي بحثها الامام الرازي تحت قوله : يا حسرة على العباد
8. الايات الكونية في سورة يس

9. أهوال القيمة في سورة يس
 10. ماذا يقول سيد قطب في القطاع الأخير من سورة يس
- اكتب مقالة عن أهم المقاصد في سورة يس مفصلا

المصادر والمراجع

1. التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي التفسير والمفسرون،
الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، مكتبة وهبة،
القاهرة
2. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر
الحديث، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر
والتوزيع، الأردن
3. الإلتقان في علوم القرآن
4. علم التفسير كيف نشأ وتطور : حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، لعبد
المنعم النمر، دار الكتب الإسلامية - القاهرة
5. مناهج المفسرين، مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحلیم محمود
(المتوفى: 1430هـ)، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني
- بيروت
6. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر فهد الرومي ، طبع بإذن رئاسة
إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية
السعودية

7. مفاتيح الغيب ، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت
8. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) دار الكتب المصرية - القاهرة در المنثور
9. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب تفسير المنار
10. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ] مؤسسة الرسالة في ظلال القرآن
11. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ) مطابع أخبار اليوم ، عدد الأجزاء: 20
12. جواهر القرآن (تفسير طنطاوي) للشيخ طنطاوي الجوهري
13. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
14. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ) دار الحديث – القاهرة
15. تفهيم القرآن ، لأبي الأعلى المودودي، IPH Calicut
16. على هامش التفاسير، للسيد إسماعيل شهاب الدين الفانوري
17. تيسير الجلالين، للأستاذ عبد الرحمن باوا بن الميباري، المركز الإسلامي

18. تعليقات الجالين، للشيخ اسمعيل أحمد النلكوتي
19. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ دار إحياء التراث العربي
-
20. تسهيل البيضاوي، للأستاذ عبد الرحمن باوا بن الميباري، المركز

الإسلامي

1. www.aljazeera.net/blogs
2. <https://islamonline.net>
3. <https://almohaweron.com>

THIRD SEMESTER MA DEGREE (CBCSS-PG)

EXAMINATION

Arabic

ARA 3 E 04- Development of Thafseer Literature (Elective)

Total Weights: 30
Hrs

Time: 3

1. أجب عن أربعة من الأسئلة الآتية في فقرة موجزة
(4x2)=8Weights

1. ما الفرق بين التفسير والتأويل في شرح معاني القرآن الكريم؟

2. من هم أشهر المفسرين في التفسير البياني؟

3. ما منهج صاحب تفسير "على هامش التفاسير" في بيان معاني القرآن الكريم؟

4 ما المراد بالتفسير الموضوعي؟

5، ما الفرق بين التفسير المأثور والتفسير بالرأي؟

6. ما المراد بـ العرجون القديم في سورة يس؟

7 بين معنى قوله تعالى: ومن نعمه تنكسه في الخلق.

|| أكتب بيانا موجزا عن أربعة من الآتية مع

الأمثلة: (4x3)=12Weights

8. التفسير في عهد التدوين
- 9 عائشة عبد الرحمن ومنهجها في تفسير القرآن الكريم
10. خصائص تفسير أحمد بن مصطفى المراغي في تفسير القرآن الكريم
11. قال تعالى : " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية " ما هي قصة أصحاب القرية؟
- 12 ما هي الآراء المختلفة في الحروف المقطعة في أوائل السور؟
13. كيف يختلف اتجاهات ابن كثير والبيضاوي في تفسير القرآن الكريم، بين.
14. قال تعالى : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون، كيف فسر المفسرون هذه الآية في ضوء العلم الحديث؟
- أكتب مقالة مفصلة عن اثنين من الآتية: 10Weights=(2x5)
- 15 أكتب عن سورة يس وأهم المقاصد المبينة فيها
- 16 أعد بيانا عن أهم التفاسير في العصر الحديث ومناهجها في تفسير القرآن الكريم
- 17 أكتب بيانا مفصلا عن مساهمات علماء الهند في علم التفسير

18 ذهب بعض المفسرين إلى تفسير الآيات الكونية التي وردت في القرآن الكريم بالتوفيق باكتشافات العلم الحديث، إلى أي مدى يصح هذا ؟

بين الآراء فيه مع الأمثلة.